17 em Année No. 817

Lundi — 28 — 2 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

ص

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٨١٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

مشروع مولوتوف

للأستاذ عمر حليق

فى الخامس والعشرين من يناير سنة ١٩٤٩ أعلنت موسكو نبأ تأليف اتحاد اقتصادى للمنفعة المشتركة فى منطقة النفوذ السوفياتى ليعمل علانية على مكافحة مشروع مارشال الأمريكى للانماش الأوربى . وقالت وكالة الأنباء الروسية الرسمية (تاس) التى أذاعت الخبر أن المشروع الروسى الجديد جاء نتيجة مؤتمرات عدة عقدتها فى موسكو الدول الحليفة لروسيا فى أوائل السنة الجديدة ؛ وأن هذه الدول « التى رفضت الانصياع لديكتاتورية مشروع مارشال » قد أنشأت فيما بينها « مجلساً للمساعدة الاقتصادية المتبادلة لتدعيم التعاون الاقتصادى أكثر فأكثر » بين بعضها وبعض . وقالت تاس كذلك إن عمل المجلس الاقتصادى هذا سيتناول « تبادل الخبرة الفنية والاقتصادية » بين الدول المشتركة فيه ، و « تقديم المؤنة المتبادلة للحصول على المواد الخام والمواد الغذائية والآلات الصناعية وما إليها » وأن المجلس سيجتمع دورياً ، وأنه يرحب بكل من يرغب فى الانضمام إليه من الدول الأوربية التى تدين بالمبادئ التى يدين بها مؤسسوه

والمشتركون فى هـذا المشروع غير الروس خمس دول فى منطقة النفوذ السوفياتى وهى رومانيا وبولنده وبلغاريا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا . وقد تركت يوغوسلافيا — وخلافها مع موسكو قد اتسعت شقته — خارج هذا المجلس .

قبل سنة ونصف أى فى منتصف عام ١٩٤٧ ، خرج الرفيق مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفياتى فى اجتماع مجلس وزراء الدول الأوربية بباريس غاضباً . وكان موضوع البحث بين روسيا وفرنسا وبريطانيا فى ذلك الاجتماع مشروع مارشال الأمريكى لإنماش اقتصاديات أوربا . وقد أصدر مولوتوف عَقِب انسحابه تصريحاً قال فيه : إن الاتحاد السوفياتى قد رفض المشاركة فى المشروع الأمريكى المقترح لأن أمريكا لا تتوخى إنعاش أوربا بل تريد تقسيمها وبث الشقاق بين دولها .

وتبع تصريح مولوتوف هذا بيـان من (البوليت بيرو) القيادة العليا للسياسة السوفيانية اعترف فيه الروس بأن مشروع مارشال هو أكبر تحد يواجه الاتحاد السوفياتى .

وعلى أثر ذلك شرع الروس فى اتخاذ خطوات عملية فى ميادين السياسة والاقتصاد لمكافحة مشروع مارشال . وكان أبرز هذه الخطوات فى مجال السياسة تأليف (الكومنفورم) وهو المركز الرئيسى الرسمى للشيوعية الدولية (وكانت روسيا قد حلته خلال الحرب) وجعلت قيادته المركزية فى العاصمة البلغاريا ، وتلا ذلك نشاط عسكرى فى مناطق الثورات الشيوعية فى اليونان والصين واتخذت المساعدة السوفيانية ليهود فلسطين دوراً عملياً لم يشعر العرب بخطورته إلا بعد سنة من استمراره .

ولم تقتصر روسيا فى إجابتها على تحدى مشروع مارشال على

هذه الخطوات السياسية والعسكرية ، بل أردفتها بنشاط اقتصادى تدريجي شبك الروس فيه اقتصاديات دول شرق أوربا بعضها ببعض ثم ربطتها جميعاً بالاقتصاد السوفياتى . وهـذا فى الواقع عملية ابتدأت روسيا بالعمل بها منذ أن احتلت شرق أوربا أثر تراجع الألمان عنها فى عام ١٩٤٥ ، وكانت وسائل موسكو لتحقيق هذه السيطرة الاقتصادية سلسلة من المعاهدات التجارية ركزت الإنتاج الصناعى والزراعى فى منطقة نفوذها فى بوتقة التبـادل التجارى الإقليمى . وقطعت دول شرق أوربا الجزء الأكبر من معاملاتها التجارية مع أوربا الغربية والعالم الخارجى إجمالا . ثم جعل الميزان التجارى فى جميع الدول الشيوعية المتحالفة متمشياً مع رغبات الاتحاد السوفياتى الذى أصبح بحكم هذا التوجيه وبما له من سيطرة ونفوذ سياسى ، العنصر السياسى فى الكيان الاقتصادى فى شرق أوربا وهى جزء من العالم يضم ست دول تبلغ مساحتها حوالى عشرة ملايين ميل مربع وعدد سكانها ٢٦٢ مليوناً من الأنفس .

واستمر نشاط الروس فى منطقة نفوذهم لتدعيم النظام الشيوعى ومكافحة الغرب الأنجلوسكسونى فى ميادينه الاقتصادية والسياسية والفكرية ، وظل العالم الخارجى لا يعلم إلا قليلا عن مدى اتساع هذا النشـاط ومبلغ نجاحه بسبب الرقابة السوفياتية الشديدة .

ولـكن المتتبعين للشؤون الروسية قدروا بأن جواب موسكو على مشروع مارشال الذى أحرز قسطا من النجاح للغاية التى وضع من أجلها — جواب روسيا سيكون من نوع التحدى . وقال الخبراء بأحوال منطقة النفوذ السوفياتى إن هناك خططا اقتصادية منسقة يعمل لها السوفيات بالتعاون مع الحكومات الشيوعية القائمة هنـاك . وكان هؤلاء الخبراء يطلقون اسم « مشروع مولوتوف » على النشاط السوفياتى . وفى الأشهر الأخيرة كاد العالم ينسى أن هناك شيئاً اسمه مشروع مولوتوف ، لندرة ما تتناوله الألسن ، على عكس الدعاية الواسعة التى يلقاها مشروع مارشال فى الصحافة المالية — أو صحافة الحلف الغربى على الأقل . إلى أن نقلت وكالة تاس نبأ تأليف المجلس الاقتصادى الجديد .

هذا المشروع السوفياتى الجديد ، مجاله منطقة جغرافية غنية بالمواد الخام من الفحم والحديد والزيت لا يزال معظمها فى باطن الأرض ، إذ لا تتوفر لدى دول شرق أوربا الوسائل الآلية الحديثة ولا رأس المال ولا الخبرة الفنية لاستخراجها . فالخبرة فى الإنتاج والتعدين ، ومدى التصنيع فى شرق أوربا إجمالا قاصر عن اللحاق بالحضارة المادية المتفوقة التى عرفت بها دول أوربا الغربية والعالم الجديد . ولذلك فإن الخبراء فى العالم الإنجلوسكسونى يعتقدون بأن هذا المشروع الروسى الجديد سيقتصر على تنسيق المعاهدات التجارية بين الدول الشيوعية ، وأنه لن يسعى لتنفيذ برامج اقتصادية ضخمة تتناول التصنيع وتدعيم التبادل النقـدى وغير ذلك من أوجه الاقتصاد التطبيقى على النحو الذى يعمل له مشروع مارشال فى غربى أوربا وشماليها وجنوبها .

ويضيف إلى ذلك هؤلاء الخبراء — أن العقبة الكبرى التى تقف فى وجه المشروع الروسى الجـديد ، حتى ولو اقتصر على تنسيق التبادل التجارى ، هى أن منطقـة النفوذ السوفياتى لا تشكل كتلة طبيعية تستطيع موازنة التبادل التجارى . فليس فى الكتلة السلافية سوى تشيكوسلوفاكيا من يستطيع أن يؤمن تبادلا تجارياً سليما ؛ ففى تشيكوسلوفاكيا صناعات ثقيلة تستطيع أن تتبادلها مع حاصلات روسيا الزراعية أو حاصلات الدول الشيوعية الأخرى ومعظمها زراعى كذلك .

وكانت هذه الدول قبل أن تنصهر فى الكتلة السلافية تتبادل النسبة الكبرى من محاصيلها الزراعية مع ألمـانيا ودول أوربا الغربية المعروفة بوفرة الإنتاج الصناعى .

وليس للدول الشيوعية فى منطقـة النفوذ السوفياتى الآن سوى روسيا لتتبادل معها الإنتاج الزراعى بإنتاج صناعى يسـد حاجتها . ويعتقد الخبراء الإنجلوسكسون أنه ليس لدى الاتحاد السوفياتي وفرة فى الإنتاج الصناعى ما تسـد حاجيات حلفائه فى شرق أوربا بسبب مشروعات الخمس سنوات الإنشائية التى تحدد طاقة الإنتاج الروسى وتوزعه على مطالب الشعب الروسى قبل كل شئ . وفوق ذلك فإن وفرة الإنتاج الزراعى فى روسيا نفسها من القمح الأكرانى والمواد الغذائية الأخرى يجعل شراءها المنتجات الزراعية من الدول الخاضعة لنفوذها ، نوعا من الإحسان لا يستند إلى دعائم اقتصادية سليمة .

وهنا تتدخل لايك سكس فيقول خبراؤها إن الدول التابعة لمشروع مولوتوف الروسى ، والدول المنظمـة لمشروع مارشال الأمريكى ، سيرغمان فى نهاية الأمر على تبادل التعاون . فإن الكيان الاقتصادى الذى تحاول موسكو تدعيمه فى شرق أوربا هو كيـان زراعى ؛ وإن الانتعاش الذى يحاول الإنجلوسكسون

الغزى الشـــاعر

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

هو شاعر من كبار شعراء العرب عاش فى القرنين الخامس والسادس بعد الهجرة ورحل إلى الشرق فأمضى معظم عمره فى الأسفار . ونشر شعره بالعراق وخراسان . وكان أحد شعراء العربية الثلاثة الذين عرفتهم بلاد العجم فى القرنين الخامس والسادس . وثانيهم أبو المظفر الأبيوردى الأموى شاعر العربية فى القرن الخامس ، والثالث الأرجانى الذى عاش من سنة ٤٦٠ إلى سنة ٥٤٤

ولد الغزى فى غزة هاشم سنة إحدى وأربعين وأربعمائة . وفارق وطنه فى سن الأربعين فدخل دمشق ورحل إلى بغداد . وأقام فى المدرسة النظامية سنين كثيرة . ومدح ورثى كثيراً من المدرسين بها ... ثم رحل إلى خراسان ومات بهـا فى طريقه من مرو إلى بلخ سنة ٥٢٣ . ونقل إلى بلخ فدفن بها .

وقد تحدث المؤرخون عن كثرة أسفاره فقال ياقوت فى معجم البلدان : سافر الدنيا . وقال صاحب الخريدة : جاب البلاد وتغرب وأكثر النقل والحركات ، وتغلغل فى أقطار خراسان وكرمان .

وقد ذكر هو أسفاره فى مواضع من شعره . يقول :

كم بلدة فارقتها فوجدت فى ... أخرى مُراداً مكثباً ومَرادا
وتركتها ربداء كالظلم التى ... يلبسن من فقد البدور ، حدادا
إن كنت سرت عن العراق مؤنبا ... جيـــا فلست بشاكر بغدادا
فتى أنام وهمتى فوق السها ... أو يستطيع لى الزمان عنادا

ويقول :

كم لبسنا أضفى السوابغ ذيلا ... وطرقنا أحمى القبـائل جارا
نخلونا بالعامرية والخيل صيـــام والحى ما شـــب نارا
وانكفأنا والفجر يمطس والريـــح تمنى بذيلها الآثارا
وشهدنا الوغى وقد رتق النقـــع فتوق الآفاق والأمصارا
ولقينا الملوك عربا وعجما ... وحصلنا على الجزيل مرارا
وسهونا عن قص أجنحة العمـ ... ـر بما يصلح المعاد فطارا

وكأنه فى هذه الأبيات يجمل سيرته ، ويذكر خلاصة ماضيه وتجاربه .

ويقول فى أبيات أخرى .

وطامـــة ترى الخرّيت فيها ... كأعمى تنـــاوله كتابا
لبست قتامها وخرجت منها ... خروج مهند سُلب القرابا
بسير يحرق النار اشتمالا ... وعزم يسبق المـــاء انصبابا
ولمـــا قل منتقدٌ وأمت ... بغاثة كل منتحل عقابا
وأصبح منسم الدنيا سناما ... وخر الرأس وارتفع الذنابى
شمخت بأنف فضلى عن مرام ... يضم أســـود بيشة والذئابا
وكم أرسلت من مثل شرود ... سرى فى ظهر قافية نجابا

مدح الغزى كثيراً من أمراء المشرق وملوكه ، كبنى نظام الملك ، والسلطان سنجر بن ملكشاه .

وفى شعر الغزى ، كالأبيوردى والأرجانى — وهم عرب خلص عاشوا فى إيران وما يتصل بها فى ذلك العصر وقد حييت اللغة الفارسية وازدهرت آدابها — فى هذا الشعر مجال واسع لتأريخ الأدب العربى وقياسه بالآداب الأعجمية التى نشأت فى حضانته وتحت سلطانه ، وبيان مكانته فى تلك الأقطار .

وفيه كذلك إبانة عن نزعات شعراء العرب فى الأقطار الأعجمية واعتدادهم بأصولهم وتشوقهم إلى أوطانهم .

وقد سبق أبو الطيب المتنبى إلى الحنين إلى الشام ، وافتقاده بنى قومه حينما رحل إلى فارس أشهراً قليلة مدح فيها ابن العميد وعضد الدولة فقال :

أحب حمصا إلى خناصرة ... وكل نفس تحب محياها

وذكر مواطن لهوه فى تلك الأصقاع . وقال أيضاً فى وصف شعب بوان :

ولـكن الفتى العربى فيهـا ... غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها ... ســـليمان لسار بترجمان

وافتقد ما ألف فى دمشق من ضيافة فقال :

ولو كانت دمشق ثنى عنانى ... لبيق الثرد صينى الجفان

تحقيقه فى باقي أوربا هو كيان صناعى ؛ وإن تشابك السياسة والاقتصاد فى الحياة الأوربية والدولية إجمالا ليس من السهل القضاء عليه . ولذلك فإن خبراء لايك سكسس يعتقدون بأن التبادل التجارى بين منطقة النفوذ السوفياتى ومنطقة الحلفاء لن ينقطع ما دام أن كلا المعسكرين ليس فى صراع مسلح ، وهذا الاتصال التجارى أحد السدود التى تقف فى وجه اندلاع لهيب جديد

(نيويورك) عمر حليق

معهد الشئون العربية الأمريكية

وأما الأبيوردى الشاعر الأموى فكان لسان العرب فى القرن الخامس . أشاد بمجدهم وتمدح بأخلاقهم وحن إلى أوطانهم وهو لم ينشأ بها ، ولم يعش فيها إلا قليلا فى العراق ، حتى سمى قسما من ديوانه النجديات .

وهذا أبو إسحق الغزى تعاوده ذكر غزة وباديتها ، وبلاد العرب ، فيعرب عن شوقه وحنينه .

وكما أشاد أبو الطيب بالبداوة حين قال :

ما أوجه الحضر المستحسنات به ... كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفى البداوة حسن غير مجلوب
ابن المعيز من الآرام ناظرة ... وغير ناظرة فى الحسن والطيب
أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها ... مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

أولع الأبيوردى ببوادى العرب وكرر ذكرها والإشادة بالعيش فيها .

ومن قوله فى هذا :

ويعجبنى نفح العرار وربما ... شمخت بعرنينى وقد فاح عنبر
ويخدش عمدى بالحمى صفحتا الثرى ... إذا جـــر من أذياله المتحضر
وماالعيش إلا الضب يحرشه الفتى ... وورد بعين البرابيع أكدر
بحيث يلف المرء أطناب بيته ... على العز والكوم المراسيل تنحر
ويغشى ذراه حين يشتم للقرى ... ويسرى إليه الطارق المتنور

يفخر فى هذه الأبيات بالبداوة ، ويشيد بما يمير به الأعراب من أكل الضباب فيقول :

وما العيش إلا الضب يحرشه الفتى

فى هذه البادية العزيزة الكريمة حيث تستحكم الشجاعة والسخاء .

وكذلك الغزى يحن إلى البادية بين الحين والحين . ويذكر قبائل العرب ويمدحها ولكنه أقل من الأبيوردى حماسة وحنينا ؛ يقول :

أين أيامنا بغزة والعيش ... نضير واللهو رحب المجال
ومزايا حسن البوادى تُواد ... بهلال فى حـــلة من هلال

أى بإنسان كالهلال حسنا فى حلة من بنى هلال .

ويقول فى تفضيل البدو على الحضر .

وغضة العين يحمى حسنها خفر ... ولا خفير فعين الحسن كالخفر
سجية فى البوادى لا أخل بها ... والبدو أحسن أخلاقا من الحضر
قوم كأن ظهور الخيل تنبتهم ... وما سمعت بأنبات بلا مطر
لايجسر الطيف يجرى فى منازلهم ... مهابة خيمت فى مطرح الفكر
لما رضوا بشفار البيض معتصما ... عزوا فما احتاج جانبهم إلى وزَر

ويقول :

وأبرح ما يكون هوى البوادى ... إذا رفعوا على العيس القبابا
تسير بكل جارحـــة حمتها ... أســـود يتخذن السمر غابا

* * *

ثم الغزى بعد وقور فى شعره حكيم ، يصوغ الحكم والمواعظ ، ويضرب أمثالا من تجاربه وما لقى من غِير الزمان . وهو فى هذا الفن يبلغ درجة عالية يمتاز فيها . وهو مهما يفتن فى ضروب الشعر لا يستطيع إخفاء نزعته إلى الزهد ، وابتئاسه بأحداث الدهر ، وقد عاش الرجل أكثر من ثمانين عاما ، وطوف فى البلاد كثيرا فرأى وسمع وجرب ملء الأزمنة التى عاش فيها والأمكنة التى أقام بها .

أنظر إلى قوله :

لا تعجبن لمن يهوى ويصعد فى ... دنياه فالخلق فى أرجوحة القدر

وقوله :

ما الدهر إلا ساعتان : تعجب ... مما مضى ، وتفكر فيما بقى
ولكل شىء مدة فإذا انقضت ... ألفيـــته وكأنه لم يخلق
والمرء أتعب ما يكون إذا ابتغى ... سعة المعيشة فى الزمان الضيق

وهنا يظهر الفرق بين الغزى القنوع والأبيوردى الذى لا تسع الدنيا همه ومطلبه . ويقول الغزى .

هلا نكرت شبابى وهو أغربة ... للبين معربة عن غربة السفر
ليت البياض الذى زال السواد به ... أبقى لنا منه ما فى القلب والبصر
قـــد ضقت ذرعا بعيش لا يسوغ ولا ... تعجه النفس حتى عيـــل مصطبرى
فلست حيا ، ولا ميتا ، ولا دنفا ... ولا صحيحا ، جميع الداء فى الكبر

* * *

الغزى جدير بعناية أدباء العربية لبلاغة شعره وما فيه من معان قيمة وحكم عالية ، ثم لما فى سيرته من تبصرة بأحوال البلاد الإسلامية فى ذلك العصر ، وأحوال الأدب العربى فى بلاد العرب والعجم .

وديوانه جدير بالتصحيح والنشر . وقد أدرج كثير من شعره غلطا فى ديوان الأبيوردى . ولا بد من نشر الديوانين قضاء لحق الشاعرين ، بالعناية بشعرهما وسيرتهما .

عبد الوهاب عزام

صور من الحياة :

انتقـــام

للأستاذ كامل محمود حبيب

دعني – يا صاحبي – أنفض أمامك جملة حالي ، فـفي حديثي ما تضيق له النفس ولا ما ينزعج له القلب . هـذا أمري وما كان لي الخيرة منه وإني لأضطرب بين نوازع جياشة لا تهدأ ولا تستقر .

فتعال – يا صاحبي – واجلس إلى جانبي وألق إليّ السمع ، ثم لا تلمني فأنا تجربة قاسية من تجارب الحياة ...

صفعتني الأيام في غير شفقة ولا رحمة – أول ما صفعت – حين ماتت عني أمي طفلاً أدرج في فناء الدار ، لا أكاد أعي من أمر الحياة شيئاً ، ولا أكاد أنأى عن حضن أمي إلا ريثما أعود إليه أجد فيه الحياة والدفء والحنان جميعاً ، وأبي بين عمله وشبابه في شغل . وافتقدتُ أمي حين افتقدت القلب الذي يسـندني وأطمئن إليه ، وحين غاضت الابتسامة الرفافة الساحرة التي تجذبني وتحنو عليّ ؛ فرحت أسأل عنها في شوق وأبكي بُعدها في حزن ، وأهلي من حولي يوهمونني بأن أمي ذهبت إلى القاهرة تطب لمرضها . وعجبت أن لا أجد لها شبيهاً في مَن أرى . فهذه عمتي وهذه خالتي وهـذه وهذه ... لا أحس في واحدة منهن معنى الأمومة ولا ألمس روح الحنان .

واشتد شوقي إليها وألحّت بي اللهفة إلى رؤيتها ، ثم انطوت الأيام وعبرتي ما ترقأ وحنيني ما يخبو .

وصحبتني جدتي لأبي – ذات ليلة – إلى دارها ، وأرادتني على أن أستحم وجاءت هي تزيل عني أوساخ الإهمال وتمسح أعفار الشارع ، تدهن شعري بالزيت وتضمخ جسمي بالعطر ثم تلبسني الحرير في رفق وتلفني في الدمقس في عناية .

يا عجباً ! ما لوجه هذه العجوز الشمطاء يفيض بشراً وإشراقاً وما لها تتزين وتتطيب كأنها في ليلة زفافها ! .

وسألتها ما الخبر ، فقالت : « يا بني ، غـداً ستذهب لترى أمك في بيت أبيك » وثوب قلبي طرباً وطار عقلي سروراً ، وشملتني طفولتي فـما أستطيع أن أكتم دوافع نفسي ، فذهبتُ أملأ الدار ضجيجاً وصخباً ، أغني وأصيح وأنادي وأقفز وأجري ، يكاد إهابي ينشق نشاطاً على حين يفيض قلبي فرحاً . غداً سأرى أمي ! وا فرحتاه ! وذهبتُ أهيئُ نفسي للقيا الحبيبة أتزين وأتأنق وأقف أمام المرآة أتحسس ملابسي وشعري وحذائي .

ونامت العجوز وأنا إلى جانبها لا يجد النوم إلى عينيّ سبيلا ؛ والأخيلة الجميلة البسامة تتوزعني وأنا بينها لا أحس معنى الزمن ولا يضنيني السهر وقد مضى الليل إلا أقله .

وفي الصباح لصقت بجدتي أتبعها وأتعلق بثوبها ، أستنجزها ما وعدت وهي تستمهلني ، والساعات تنطوي . والأمل يخبو في نفسي رويداً رويداً حتى لفني الوجوم والأسى وبدت عليّ الخيبة وضياع الأمل . وعند الظهر قالت لي جـدتي : « الآن ، نذهب لترى أمك » .

وذهبتُ إلى دار أبي ، إلى جانب جـدتي ، أختال في الحرير والدمقس وأزهو في طفولتي وعطري وأرنو هنا وهناك وقلبي يخفق في شدة وعنف ، تُرى أين كانت تتوارى أمي ، أحقاً كانت تطب لمرضها في القاهرة ؟ ودخلت حجرة واسعة من حجرات الدار فإذا عبير المسك يتضوع في نواحيها وتفوح في جنباتها روح العطر . لقد تأنقت الحجرة في زينتها وتبرجت في أثاثها فهي تخطف البصر وتخلب اللب . وأخذتُ أقلب البصر في أرجاء المكان فما رأيت المرأة الجالسة في أقصى الحجرة إلا حين قالت جدتي العجوز « هـذه أمك » واندفعت أنا إليها ألقي بنفسي بين ذراعيها وأدفن وجهي في حجرها لأستشعر الحنان والعطف وقد فقدتهما منذ زمان .

وألقيتُ بنفسي في حجرها ولكني لم أحس بذراعيها تنفرجان لتضماني ولا بنفسها تستبشر للقائي ولا بقلبها ينبض لمقـدمي ، فرفعت بصري إلى وجهها أحدّق فيه ، واستلبتني الدهشة والحيرة من حياء الطفولة فأرسلت من بين شفتيّ صرخة مدوية وأجهشت للبكاء ثم رجعت إلى الوراء في فزع ، رجعت صوب الباب لأن هذه المرأة لم تكن أمي . وشعرت بأنني أحتقر جدتي وأمقت المرأة التي زعموا أنها أمي .

وألفيتُ أبي لدى الباب فربّتَ على كتفي في حنان وضمني إليه في عطف وقال : ما بالك ؟ قلت : مَن عسى أن تكون هذه المرأة ؟ قال : هي أمك . قلت : لا . قال : ألا تعلم أن لك أمّين واحدة في القاهرة وهـذه هنا ! قلت : فما لي لم أرها من قبل ؟

وتلعثم لسان أبي وماتت الكلمات بين شفتيه ، وبدا لي أن أبي كذّاب فشعرت بأنني أحتقره وأمقته .

آه ، لقد انطوى صدري على كراهية أبي وجدتي والمرأة التي زعموا أنها أمي .. كرهتهم جميعاً لأنهم كذبوا .. وأحسست بالأسى يتدفق عارماً إلى قلبي . وجرفني الحزن حين أيقنت بأنني فقدت أمي إلى الأبد .

وحين رأتني زوجة أبي قذى في عينيها اتخذتني هدفاً لغضبها وثورتها وعشت في الدار ضائعاً لا أفوز إلا بفضلة مما يتركه الخادم . حينذاك أرسلني أبي إلى المدرسة في المدينة ودفع بي إلى خادم يقوم على أمري فكان هو أبي وأمي وجلادي ، فهو أب لا يعرف الرحمة وأم لا تعرف الحنان وجلاد لا يعرف الشفقة . وعشت هناك أشعر بالغربة فأبي لا يزورني إلا لماماً إرضاء لزوجته ، وهو إن فعل لا يحبوني بعطفه ولا يهش للقائي ولا يتبسط معي في الحديث ولا يهتم بحاجاتي ولا يعني بطلباتي ، ومرت الأيام وهو ينأى عني رويداً رويداً حتى أصبح غريباً عن نفسي وعن قلبي في وقت معاً . وأغص بالحرمان فالخادم ينعم وحده بمال أبي وأنا لا أنال قرشاً واحداً أشتري به بعض ما يشتري أترابي . وأشرق بالمهانة فأنا أغدو إلى المدرسة وأروح في ثياب مضطربة قذرة مهلهلة على حين أن رفاقي يرفلون في الجديد والنظيف . وأحس بالضعة فما أستطيع أن أدفع عن نفسي عبث زملائي وتهكمهم فما بي من قوة أن أفعل . وتمادى صحابي فامتدت أيديهم إلى وجهي ورأسي ، فطرت أنزع عنهم وأفر منهم وهم يجدّون في إثري لأكون لهم سخرية ولهواً . ولم تستطع نفسي أن تطمئن إلى هـذا الوضع الوضيع وأنا عاجز اليد واللسان والقلب ، فذهبت ألتمس مهرباً فكنت أقضي أوقات الفسحة مختبئاً في (المرحاض) ثم أنفلت — آخر اليوم المدرسي — إلى بيتي أحمل همي بين جنبيّ فما أجد متنفساً إلا أن أشكو إلى هذا الخادم الفظ وهو لا يلقي بالاً إلى شكاتي إلا والعصا على ظهري ، وأبي بين عمله وشبابه في شغل .

وقضيت السنوات الأولى من عمري المدرسي أتوارى من زملائي خشية أن تنالني أيديهم وألسنتهم ، وأنطوي على نفسي في ركن من حجرة خيفة أن أعرض أسمالي البالية على أعين الناس في الشارع ، فعشت في منأى عن الناس أطمئن إلى الوحدة وأرى فيها سلوان القلب وراحة النفس .

أفكنت أطمئن إلى هذا الوضع الوضيع في سهولة ويسر ؟.

ليت شعري ما ذا كان يضطرب في خاطري حين أخلو إلى نفسي وإن قلبي ليتضرّم غيظاً ويحتـدم حقداً على أولئك الذين اتخذوني سخرية ولهواً ؟ .

وثارت فيّ ثائرة القرَم إلى الانتقام واشتد بي النهم إلى الثأر وشغلتني الخاطرة فملأت نفسي وسيطرت على أخيلتي ، وفي رأيي أن الناس يحترمون القوي ويتملقونه ويسخرون من الضعيف ويهينونه . وعزّ عليّ أن أعيش عمري في الذلة والمسكنة فعزمت على أمر ...

ورحت أقضي شطراً من يومي في أحـد الأندية الرياضية ، وشطراً آخر بين أوراقي ودرسي ، ومرت الأيام فإذا ساعدي قد اشتد وعضلي قد تكتل وإذا عقلي قد استوى واستقام .

وقويت نفسي حين رأيتني في الصـدر قوة وعلماً ، فطردت خادمي بعد أن أذقته وبال أمره ، وانطلقت إلى أبي أطلب — في شدة وعنف — أن يرتب لي من المال ما يحفظ عليّ كرامتي وكبريائي فما مهل ، وانطويت عن زوجة أبي وأنا أحدجها بنظرات فيها الاحتقار والبغض ، ووجدت اللذة والسعادة في أن أبطش بأترابي وأقاربي فأذيقهم الذلة وأسومهم الخسف لا تأخذني بهم رأفة ولا أستشعر نحوهم الرحمة .

وتخرجت في الجامعة لأفرغ إلى الانتقام وبي إليـه قرم وأخلص إلى الأخذ بالثأر وبي نهم إليه . وسلكت إلى غايتي سبلاً شيطانية وأنا أعجب أن تسيطر على روح الإجرام وأنا رجل علم وأدب . ولكن ، هـل كان الشيطان إلا وعاء علم وأدب لبسته روح الإجرام ؟ .

ودفعتني شيطانيتي إلى أفانين من الانتقام أحكم نسجها ، فانطلقت ...

اليوم أطفأت غلتي وأشفيت داء صـدري ، بعد أن عذبت من سخروا مني طفلا وقتلت من قسوا عليّ صغيراً ، فهل تراني ندمت على أمر وأنا أشعر بأنني قد أديت رسالة قلبي ؟ .

ولكن عين العدالة لم تغفل عني فأنت ترى الآن الغل في يدي والقيد في رجلي وسيف الجلاد ينتظرني بعد أيام .

فقل لي — يا صاحبي — من عسى أن يكون الملوم ، من عسى أن يكون يا صاحبي ؟ .

كامل محمود حبيب

حول الفكر العربي :

الغرض من دراسة الفكر العربي

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكي

— ١ —

في الوقت الحاضر تبذل الدول العربية قصارى جهدها لتحظى بمكانة دولية مهيبة تساعدها على نيل مآربها السياسية والاستقلالية إلا أن الوصول إلى مثل هذه الغاية يحول دونه عقبات ، من بينها عقبة ضعف الشخصية العربية وضآلتها ، ثم عقبة جهل العرب بمقوماتهم العقلية الممتازة .

ويرجع ضعف الشخصية العربية إلى تهاون العرب في التمسك بأخلاق القرآن ، وتفريطهم في إعطاء التعاليم الإسلامية صبغة عملية يظهر أثرها النافع في الحياة الخاصة والعامة ، بينما يعود جهل العرب بمقوماتهم العقلية الراقية إلى أن الشعوب العربية لم تكلف نفسها مشقة الكشف عن كنه ميولها الفكرية ، أو تهتم بشحذها حتى تنضج ، أو تمتنى بكشف الميادين التي تقدر أن تخوضها وتتفوق فيها ، حتى تستطيع أن تدخل غمار النضال العالمي مزودة بأسلحة أخلاقية سامية وواقعية في نفس الوقت ، وتنم عن شخصية قوية لها صفات مميزة ، ومعونة بمعدات عقلية تستعين بها في إثبات وجودها ككائن حي فعال في الحياة الدولية يختص بأداء عمل معين لا ينازعه فيه كائن آخر من الكائنات الدولية ؛ فيحقق ذلك كله للعرب ما تصبو إليه نفوسهم من رقى ، ويحتلون مكانة دولية تجبر المستعمر على احترام حقوقهم المسلوبة .

أما من ناحية ضعف الشخصية العربية فإنها لن تتقوى مالم تمهد السبل لبعث التعاليم الإسلامية في صورة حية واقعية ، تطلقها من سجن أروقة المساجد وحجرات الدراسة ، وتدفع بها في تيار الحياة اليومية الرحب المتنوع ، حتى لا يشعر أي فرد بوجود انفصال بين الدين والحياة ، ويحس بأن الدين من الحياة وأنه أنزل من السماء ليلبي أغراض الحياة سواء أكانت روحية أو مادية ، ولا يعترض سبيل تطورها ، أو يعوق تقدمها ؛ فإن انقطعت الصلة بين الدين والحياة كما هو الحال في البلاد العربية ، عُد ذلك تقصيراً من رجال الدين في البحث عن هذه الصلة . ولذلك يجب عليهم أن يوثقوا العرى بين تعاليم الدين الإسلامي وحياتنا الحاضرة ، وألا يحيطوا هذه التعاليم بهالة من السمو والرفعة بحيث تعلو عن حياة عامة الناس ، فيصعب عليهم التمثل بها ويظنون أنها تنطوي على قيم عليا لا يقدر أن يصل إليها إلا خاصة الخاصة ، مع أن الدين أراد أن يسلكها الجميع بدون تفرقة . فإذا اتصلت هذه التعاليم بحياة الناس المادية ، وطبقت على شتى ظروفهم الاجتماعية ، أدرك كل عربي جدوى التعلق الحق بالدين الإسلامي ، وتلمس فائدته الروحية والمادية معاً ، فيعتقد أن الدين قوة دينية كما هو طريق إلى الله .

إن غرض الفتوح العربية في صدر الإسلام كان نشر الدين الإسلامي خارج حدود بلاد العرب . ولقد استبسل الكثير من العرب ، واستشهدوا في سبيل الله ، ففازوا بالجنة من ناحية ، ونال أهله من ناحية أخرى قسطاً من الغنائم مثل بقية الجنود العائدين من الحروب .

فالقتال في سبيل الله وإن كان باعثه دينياً يخلد المستشهد في الجنة ، وهذه غنيمة روحية ، يضمن كذلك لعائلته من بعده العيش الرغد وهذه غنيمة مادية ، أحس كل عربي بعدى فائدة الاستشهاد من أجل نشر الإسلام من الناحيتين الروحية والمادية ، فأقبل على الجندية وخاض الوغى بشجاعة لا تقهر ، فاستطاع على قلة عدده وعدده أن يزيل من الوجود الدولة الفارسية ، ويزعزع أركان الدولة الرومانية .

وفي هذا الجو السماوي الأرضي عرف العرب قديماً كيف يثبتون دعائم الدين الإسلامي في النفوس . وفي هذا الجو كذلك يقدر العربي في الوقت الحاضر أن يقضي على ما تركته المدنية الغربية في نفسه من القلق الوجداني والاضطراب العقلي ، لانقياده المطلق لمغرياتها المادية ومفاتنها الحسية ، ولإهماله تهيئة الحياة الروحية التي تلائم مزاجه وتبعثه على طلب الكمال .

ولقد سبقنا الهنود في المضمار الديني الاجتماعي ، وأخذ المفكرون الهنود من أمثال راما كريشنا وفيفكاناندا يستوحون

تراثهم الديني القديم ، ويمرنونه في أسلوب حديث يتفق وغايات الحضارة الحديثة بدون أن يخل بأصول الفكر الهندي الروحي .

ثم جاء طاغور ووضع القواعد الثابتة للحياة الهندية الكاملة ، وأبرزها في صورة واضحة في كتابه « سادهانا » استقاها من تعاليم الكتب الهندية المقدسة ، ودعمها بروح الغرب العملية ، فأعطى المبادئ المثالية فيها واقعية تنفع في الحياة . وبعد أن كان الهندي ينزع لاجتناب الحياة أصبح بفضل هؤلاء المفكرين لا يقدس الزاهد الهاجر للحياة ، المعتزل للأهل والوطن ، والغارق في نفسه ، والهارب من مشاكل الأرض ، وإنما يقدس الزعيم القوي الذي تمثل في شخصية غاندي ، ، ذلك البطل الوطني الذي دفع بمقومات الهند الروحية في ساحة النضال السياسي ، فنال بلاده حريتها ، فعرف الهنود من مفكرين وسياسيين كيف يتفادون عيوبهم القديمة ، ويتغلبون على ميلهم إلى اعتزال الحياة ، ويبرزون قدرتهم على احتمال الألم في سبيل الغايات القومية بعد أن كانت قاصرة على الغايات الدينية الصرفة .

وها هو نهرو خليفة غاندي يقتفي أثره ، ويسير على هدى الطابع الهندي ، فما كاد يطمئن على استقلال بلاده ، ويضمن ود الباكستان ، حتى بادر بخوض مجال دولي حيوي أراد أن تساهم فيه بلاده في خدمة الإنسانية ، وتؤدي ما عليها من واجبات في سبيل رسالتها الروحية التي ترغب في أن تعم بلاد العالم أجمع .

فدعا لعقد مؤتمر ينشد عن طريقه ضم شمل الدول التي تعتنق المثل العليا والمبادئ المعنوية ، وتؤمن بقوتها في تدعيم السلام ، كما يبغي توحيد صفوفها لتتعاون على إنقاذ العالم مما هو فيه من تفكك وتنازع ، وذلك بالقضاء على النزعات الاستعمارية ، وبث روح المحبة والوئام في ربوع العالم .

وهكذا عرف نهرو كيف يختار المجال الوحيد الذي تقدر العبقرية الهندية أن تشترك فيه ، وتظهر براعة لا تفوقها براعة ، فنجح في استغلال استعدادات قومه الأصلية في إعلاء شأنهم ، ورفع مكانتهم بين الدول .

فأمام العرب نموذج من الفكر الديني الخالق الذي استطاع أن يرفع عن كاهل بلاده كابوس الاستعمار بفضل تعاليم غاندي في المقاومة السلبية ؛ وأن يقتحم الميدان الدولي متخذاً من أساليبه الروحية وسيلة لتحقيق سلام العالم ، وهي غاية هندوكية قبل أن تكون غاية سياسية إنسانية ؛ فهيأ بذلك لمبادئه الدينية قوة إيجابية

أما كيف يعطي الفكر العربي تعاليمه الإسلامية قيمة عملية فعالة ونافعة في حياتنا الخاصة والعامة ، فذلك يكون بعد تطبيقها تطبيقاً جديا واسع النطاق يشمل المجتمع العربي بأكمله . فكل ما تأمر به التعاليم الإسلامية من تشريعات لا ينبغي أن تهمل ويستعاض عنها بغيرها من تشريع الغرب ، بحجة أنها أكثر إنسانية . فترفض قطع يد السارق وجلد الزاني ورجم الزانية ، فإن ذلك يضعف من قوة ديننا ، ويقلل من قدرته على مواجهة مشاكل الإنسان ، وذلك يورث في نفوسنا نوعاً من المهانة ، فنستكين لتشريعات الغير ، بينما يجب أن نتمسك بتشريعات الإسلام ، لا بدافع من نعرة دينية رجعية ، ولكن بدافع من المحافظة على روح الأمة العربية ، وصيانة كيان حياتهم الاجتماعية . وكل ما في القرآن الكريم والحديث الشريف من مثل عالية يجب أن تؤسس عليها الأخلاق العربية . وكل ما يتضمنه هذا الكلام المقدس من حكم يجب أن تقوم بها أهواءنا ورغباتنا ، حتى تصفو نفوسنا مما علق بها من شوائب المدنية الحاضرة ، وتعيش في كنف حياة روحية ترتاح إليها عقولنا العربية ، فتقدر أن تستوحيها ، وتنهج سبل التطور إلى أن تكيف التعاليم الإسلامية بظروف الحضارة المعاصرة بدون أن تفقد شيئاً من أصالتها .

فإخراج هذه التعاليم من منابر الجوامع إلى ساحة الحياة الاجتماعية يعد أمراً ضرورياً لنهضتنا الحضارية . إن غاندي عندما علم الهنود المقاومة السلبية قد أضاف إلى مبدأ عدم العنف الهندوكي من القوة ما ألهب مشاعر قومه الدينية ، وأرهب الانجليز وهز امبراطوريتهم ، فكان عمله هذا أعظم عمل ديني أداه هندي لوطنه .

فنحن نريد أن نشعر بقوة مفعول تعاليمنا الدينية في أعمالنا وتصرفاتنا حتى يزداد إيماننا بها قوة ، ولا نفكر في أن نتخلى عنها ، ونبذل جهد الطاقة لكي نبثها في جميع صور الحياة الدنيوية ، فيكون ذلك باعثاً رفيعاً على طلب الرقي ، ودافعاً عظيما إلى تشييد حضارة عربية تستمد مقوماتها من صلب التعاليم الإسلامية ، وتجاري المدنية الغربية في نفس الوقت .

عبد العزيز محمد الزكي

مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

القبـــــائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٦ —

قيس وأسد وهذيل وكنانة:

أتيت في المقالات السابقة على ما كان لتميم من اختلاف مع القبائل الأخرى مشيراً إلى ما شاركها فيه غيرها من قيس وأسد وبعض قبائل نجد، وذلك مما كان له أثر في القراءات واللهجة وقواعدها. والواقع أن ما سبق هو الكثرة الواضحة أما خلافات القبائل الأخرى فقليلة، وسأعرض لها تكملة للبحث وإتماماً للموضوع.

وقد راعيت أن أقدم فكرة عن موطن كل قبيلة أو بطن حتى يسهل على الباحث تتبع القبيلة والعوامل التي أثرت فيها، وكيف اشتركت مع غيرها في خصائص لغوية كان سببها الجوار وأذكر مع ذلك أن هذه الأبحاث والتوفيق بينها وجمعها في وحدة مرتبطة مما لم يسبق إليه إنسان ولا وجدت أحداً أعطاها حقها من العناية والاستقصاء ويرجع هذا إلى عسر الحصول على مكوناتها وعناصرها فإذا وجدت لهجات لقبيلة مبعثرة في كتب الأدب واللغة والنحو فلا تذكر لك ارتباطها بالقراءات. وإذا أتيحت نسبتها في كتب القراءات والتفسير، فلا تعرّ إلا عرضاً مبتورة ينقصها الترتيب. وفوق هذا فإن مساكن القبائل ومواطنها ودياناتها لا يجمعها كتاب واحد من كتب الأدب والتاريخ. وذكر ديانات العرب وأصنامهم ومن كان يعبدها يسهل معرفة القبائل المتجاورة أما ذكر شخصياتها فمن باب التعريف بمن كان له من هذه القبائل نصيب من الشهرة والذيوع. ولعل في هذا كله بياناً لمن يحسب لأول وهلة أنه زيادة أو خروج عن الموضوع

قبيلة قيس:

تجمع هذه القبيلة عدداً كبيراً من القبائل والبطون ونسبها هو قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وقد أصبح كثير من بطونها في عداد القبائل لكثرة ما شملته من أفراد فمن فروع قيس:

١ — غطفان: ومنهما عبس وذبيان، ومن ذبيان فزارة الذين وقعت بينهم وبين عبس حروب كثيرة بسبب الفرسين: داحس والغبراء. ومن ذبيان أيضاً بنو مرة، ومنهم الحارث بن ظالم المري، أحد فتاك العرب المشهورين والذي يضرب به المثل فيقال أمنع من الحارث وقد كان السبب في بعض المعارك العربية التي تسمى أيام العرب.

ومن بني عبس عنترة الفارس الشاعر. ومن ذبيان النابغة الذبياني الشاعر. ومن غطفان أيضاً بنو أشجع. وكانت منازل غطفان بنجد مما يلي وادي القرى وجبلي طيء أجا وسلمى إلا أشجع فقد كانت منازلهم حوالى المدينة. وقد اتخذت غطفان لها بيتاً للعبادة أرادوا أن يجعلوه حرماً مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عائذه، واسم هذا البيت «بس» ووضعوا حجرين متباعدين وقالوا إنهما الصفا والمروة، واجتزءوا بذلك عن الحج إلى بيت الله الحرام، فأغار عليهم زهير بن جناب الكلبي فهدمه وعطل حرمهم وذلك في الجاهلية. وقد تفرقت غطفان في الفتوح الإسلامية.

٢ — بنو سليم بن منصور، وكانت بلادهم في عالية نجد قريباً من خيبر.

وكان بعض بني سليم سدنة «للعزى» وفي عام الفتح بعث الرسول سيدنا خالد بن الوليد فأحرقها وقال:

يا «عز» كفرانك لا سبحانك   إني رأيت الله قد أهانك

ومن سليم الخنساء الشاعرة ونصر بن حجاج الذي كان بارع الجمال، فسمع سيدنا عمر بن الخطاب امرأة تنشد:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها   أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

فنفاه بعيداً عن المدينة وقال لا يساكنني رجل تتشبب به النساء

٣ — غني وهم بنو غني بن أعصر بن سعد بن قيس، وباهلة وهم بنو معن بن أعصر نسبوا إلى أمهم باهلة. وكانت غني وباهلة يعبدون «العزى» ومساكن غني وباهلة متجاورة في نجد شرق الطائف، وبعض بني باهلة كانوا يسكنون إلى الجنوب الشرقي في الطريق بين مكة واليمن في موضع يسمى تبالة حيث كانوا سدنة لصنم اسمه «ذي الخلصة» وكانت تعظمه أيضاً وتهدي له خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن

ويحكى أن رجلا من العرب — وينسب ذلك إلى امرىء القيس — قد قُتل أبوه فأراد الطلب بثأره فأتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالأزلام فخرج السهم ينهاه عن ذلك فقال :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا   مثلى ، وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

ومن باهلة الأصمعى الراوية المشهور .

٤ — بنو عدوان وهم أبناء عمرو بن قيس وكانت منازل عدوان الطائف ثم غلبتهم عليها ثقيف فخرجوا إلى تهامة ، ومن عدوان عامر بن الظرب العدوانى حكيم العرب ، ومن حكمه : من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له وكان الباطل أولى به . للكثرة الرعب ، وللصبر الغلبة . رُبَّ أكلة تمنع أكلات .

ومنهم ذو الأصبع العدوانى ، ومن شعره المذهب :

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب   عنى ، ولا أنت ديانى فتخزونى
إنى لعمرك ما بابى بذى غلق   عن الضيوف ولا خيرى بممنون
ولا لسانى على الأدنى بمنطلق   بالفاحشات ، ولا أغضى على الهون
ما ذا على وإن كنتم ذوى رحمى   أن لا أحبكمو إن لم تحبونى
كل امرىء صائر يوماً لشيمته   وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

وكانت منازل فهم بنجد ومن فهم الشاعر المشهور الأعشى وتأبط شراً أحد الفتاك والمدائين المشهورين .

٥ — هوازن : وكانت ديارهم بنجد والعالية شرق المدينة ومكة إلى الطائف . ولهوازن فروع كثيرة مشهورة منها ثقيف الذين كانوا بالطائف وما حولها ، ومن ثقيف الحارث بن كلدة طبيب العرب ، وأمية بن أبى الصلت الشاعر ، والحجاج بن يوسف الثقفى .

وكانت ثقيف تخص « اللات » بالزيارة والهدية وسدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء ، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها ، فلم تزل كذلك حتى أسلمت ثقيف ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها ، وفى ذلك يقول شداد بن عارض الجشمى حين هدمت وحرقت وينهى ثقيفاً عن العود إليها والغضب لها :

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها   وكيف نصركمو من ليس ينتصر
إن التى حرقت بالنار فاشتعلت   ولم تقاتل لدى أحجارها ، هدر
إن الرسول متى ينزل بساحتكم   يظعن ، وليس بها من أهلها بشر

وكان لهوازن أيضاً صنم اسمه « جهار » .

ومن هوازن سعد بن بكر الذين استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا بنجد شرقى مكة ، وهم الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أمال فى قراءته « يحيى » وسئل فى ذلك : هذه لغة الأخوال بنى سعد .

ومن هوازن بنو عامر بن صعصعة الذين منهم بنو نمير وبنو كلاب وبنو كعب ، وأولئك هم الذين عناهم جرير بقوله يهجو الراعى النميرى الشاعر :

فغض الطرف إنك من نمير   فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

ومن كعب بنو عقيل رهط توبة بن الحمير وليلى الأخيلية الشاعرين العاشقين .

ومن بنى عامر أيضاً بنو هلال منهم أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنهم بنو جشم الذين منهم دريد بن الصمة صاحب البيت المشهور المتمثل به :

نصحت لهم نصحى بمنعرج اللوى   فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

وكانت مساكن نمير بنجد ثم انتقلوا فى الإسلام إلى العراق شمالا . وكانت كلاب وكعب بلادهم بنجد مما يلى تهامة ، وكانت كلاب أقرب إلى المدينة فى حمى ضرية والربذة وفدك ، ثم انتقل بنو كلاب فى الإسلام شمالى الشام حول حلب . وكان بنو هلال فى الجاهلية بنجد ، ثم ساروا فى الإسلام إلى مصر ثم إلى المغرب وكانت منازل جشم فى السروات قريباً من قبيلة هذيل .

قبيلة هذيل :

هم أبناء هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . كانت ديارهم بالسروات وسراتهم متصلة بجبل غزوان بالطائف ، وكانوا يعبدون من الأصنام « سواعاً » وسدنته منهم ، وفى ذلك يقول رجل من العرب فى القرشيين :

تراهم حول قبلتهم عكوفاً   كما عكفت هذيل على سواع

وقد افترقت هذيل فى الفتوح الإسلامية على الممالك . ومن هذيل أبو ذؤيب الشاعر صاحب المرثية المشهورة التى مطلعها :

أمن المنون وريبه تتوجع   والدهر ليس بمعتب من يجزع

ومنهم سيدنا عبد الله بن مسعود الصحابى المشهور ، ومن نسله المسعودى على بن الحسين المؤرخ

قبيلة أسد :

هم أبناء أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وكانت بلادهم بأرض نجد مجاورين لقبيلة طيء من جهة وقبائل قيس وتميم من جهات أخرى وهم الذين قتلوا والد امرىء القيس وقصة ذلك وما جرى بسببها مشهورة . وقد تفرقت أسد في الفتوح الإسلامية . وكان لجديلة من طيء صنم — ولعله «الفلس» لأنه كان لطيء ومن يليها — أخذته منهم بنو أسد فتبدلوا بعده صنماً يسمى « اليعبوب » وفي ذلك يقول أحد الشعراء وهو عبيد ابن الأبرص :

فتبدلوا اليعبوب بعد إلههم   صنماً فقروا يا جديل وأعذبوا

ومن بني أسد أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش التي تزوجها رسول الله بعد طلاقها من زيد بن حارثة . ومنها عبيد بن الأبرص والكميت بن زيد الشاعران وطليحة بن خويلد الذي كان كاهناً ثم ادعى النبوة بعد وفاة الرسول ثم عاد إلى الإسلام . ومنهم زر بن حبيش الذي أخذ عنه كثير من القراء .

كنانة :

هم أبناء عبد مناة ومالك وملكان أبناء كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وهم الذين يطلق عليهم كنانة حيث احتفظوا باسم أبيهم . أما أبناء النضر بن كنانة فهم الذين يطلق عليهم لقب قريش سواء كانوا قريش الظواهر أم قريش البطاح ، وهم سكان مكة وما حولها ، فإذا نسبت لهجة أو لغة لكنانة لم تشترك فيها قريش .

ومساكن كنانة متفرقة ، ولكنها لا تبعد عن مكة كثيراً جداً ، ومن كنانة من كانوا شرقاً إلى الجنوب قريبين من القبائل اليمنية وهم بكر بن عبد مناة ، ومنهم من كانوا غربي مكة إلى الشمال قريباً من البحر الأحمر ، وكانت غفار من بكر بن عبد مناة تكاد تقرب من المدينة من غربها .

وقد عبد جماعة من كنانة القمر ، وتهود منهم جماعة ولعلهم الذين قاربوا أهل اليمن ، وكان لبني مالك وملكان صنم اسمه « سعد » بساحل جدة ، ومما يحكى أن رجلاً من ملكان أقبل بإبل له ليقفها عليه ابتغاء بركته فيما يزعم ، فلما دنا منه ورآه وكان يهراق عليه الدماء تقرباً إليه ، نفرت منه الإبل ، فذهبت في كل وجه فغضب صاحبها فتناول حجراً فرماه وقال : لابارك الله فيك إلهاً أنفرت علي إبلي . . ثم خرج في طلبها حتى جمعها ثم انصرف يقول :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا   فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة   من الأرض لايدعو لغي ولارشد

هذا ومن غفار من بني بكر بن عبد مناة أبو ذر الغفاري الصحابي المشهور ، ومنها كذلك عزة محبوبة كثير ، ومن الدئل من بني بكر بن عبد مناة أبو الأسود الدؤلي الذي ينسب إليه وضع النحو ، وكذلك منها سارية بن زنيم صاحب القصة المشهورة في سيرة سيدنا عمر حيث قال له وهو بعيد عنه يا سارية ابن زنيم الجبل . . ومن بني مالك بن كنانة نسأة الشهور في الجاهلية وكذلك منهم ربيعة بن مكدم أحد الفرسان في الجاهلية النابهين …

(للبحث بقية) **عبد الستار أحمد فراج**

محرر بالمجمع اللغوي

حاشية :

(١) ذكرت في مقال سابق أن اسم الإشارة « هذى » لم يقع في القرآن الكريم ولكن تبين لي أن ابن محيصن قرأ بها : هذى الشجرة هذى القرية

(٢) جاءني خطاب من حضرة السيد علي عبد الحسين السلمان من العراق ينبهني إلى اقتصاري في تنوين العوض على ما كان منقوصاً وحقيقة أن تنوين العوض منه ما هو عوض عن حرف وما هو عوض عن كلمة وما هو عوض عن جملة . لكن هذه أمور عامة في جميع القبائل ، ولم أرد إلا ما اختلفت فيه وهو تنوين الترنم …

طرائف من العصر المملوكي :

الروح القوميـــة

للأستاذ محمود رزق سليم

الروح القومية عاطفة عامة ، وإحساس مشترك بين بنى الوطن الواحد ، تشعرهم بأنهم مجموعة من الناس ، من الخير لهم أن يأتلفوا ويتحدوا ، ليكون لهم من وراء ذلك قوة يستطيعون بها أن يتغلبوا على صعاب الحياة وعقباتها ، فى الداخل والخارج ، وتحدد لهم أهدافاً خاصة يرون فيها حفظاً لكرامتهم ، وإحقاقاً لحقهم ، وتغذية لنزعاتهم ، وإقراراً لآمالهم .

ويتركز حب هذه الأهداف فى نفوسهم تركز العقيدة ، إيماناً بها وإيثاراً لها . لذلك يسمون جاهدين فى سبيل بلوغها ، مضحين بكل مرتخص وغال ، من رأى ونفس ومال .

والروح القومية فى الأمة مثلها مثل الكائن الحى ، يولد ويتغذى وينمو ويقوى ويعمل ويوجه . ولها عوامل لميلادها وغذائها ونموها وقوتها ، كما أن لها عوامل مضادة مناقضة ، إذا هى صادفتها أضعفتها ، وكبتتها وأماتتها .

وعوامل نموها وقوتها كثيرة متعددة لا مجال لحصرها والحديث عنها الآن ، ولا لتوضيح أثرها ؛ ولكننا نذكر أن من بينها اتحاد أبناء الوطن فى الوطن واتفاقهم فى الجنس واللغة والدين وتجانسهم فى الثقافة وتعرضهم لعوامل اقتصادية مشتركة أو لأخطار خارجية أو داخلية متشابهة ، وكذلك قيام أفذاذ الرجال من بينهم وقادة الفكر الذين ينزعون نزعة وطنية خالصة من الشوائب ، فيوقظون وينبهون ويحمسون ويوجهون ، ويضرمون نار البعث والنشور ، حتى تفيق الأمة من سباتها ، وتتنبه من غفلتها ، وتعرف لنفسها كرامتها وحقها ، وتسمى لإدراك آمالها .

ومن عوامل إضعافها تتابع الغارات الخارجية ، وطول العهد بالاستعمار ، وضعف الثقافة واضطرابها ، وانتشار الأوباء واستبداد الولاة ، ونحو ذلك .

وبمقدار ما يتاح للأمة من عوامل القوة ، تذكو فيها الروح القومية ، وتنشط النزعات الوطنية ، ويقوى الرأى العام ، ويفرض مناهج الأمة فى السياسة والإدارة والاقتصاد والتعليم والأوضاع الاجتماعية ، وغير ذلك .

وبعد فهل كانت بهـذه البلاد المصرية العزيزة إبان العصر المملوكى روح قومية ونزعات وطنية ترمى إلى المحافظة على الكرامة العامة ، ورعاية الحقوق ؟ وإذا كانت هناك روح ، فما مظاهرها وما عوامل حياتها ؟ وإن لم تكن هناك روح ، فما الأدلة على ذلك ، وما الأسباب التى وجهتها الأقدار سهاماً إلى هذه الروح ، فقضت عليها ؟

الحديث فى ذلك يطول ، لا يستوعبه مقال واحد ؛ إذ البحث فيه يتطلب النظر الطويل فى التاريخ وفى النظم الإدارية والأحداث الاجتماعية ، وفى أنواع الثقافة وأصباغها ، وتتبع نزعات العامة ، وتلمس مصادفاتها التى تخرج فيها عن وقارها ، وعن حياتها الآلية المادية ، فى تلك العصور الوسطى التى امتحنت فيها الأمة بطغيان سلاطينها واستبداد أمرائها وعبث جندها وتراخى كثير من علمائها عن إصلاح إدارتها .

لقد انضوت مصر تحت اللواء العربى ، واندمجت فى نطاق الأمم العربية ، بعد الفتح العربى . ولا غضاضة على روحها القومية من هذا الانضواء والاندماج ، ما دامت قد رأت فى الإسلام عدالة فياضة ، ومساواة كاملة ، وأخوة نقية ، وأنست فى الحاكم الإسلامى رعاية عامة ونزاهة تامة ، وتسامحا كريما ، وحباً للخير .

ولكن جرت الأحداث فى الدول الإسلامية ، بعدُ ، على غير ما يشتهى الإسلام ، فانساقت مصر إلى الانفصال والاستقلال وأخذت سمتها نحوهما ، واستردت روحها القومية حريتها فى الظهور والعمل .

وبدأ ذلك بدءاً جيلا منذ العصر الطولونى ، وما زال حتى كان تمهيداً حسناً للعصرين الفاطمى والأيوبى اللذين استقلت فيهما مصر استقلالا كاملا أكثر من ثلاثة قرون ، وغزت جنودها باسمها فى البلاد المجاورة وفرضت سيطرتها ، وحملت أعباءها كاملة إبان الحروب الصليبية .

فلما آلت سلطنة مصر إلى حكم المماليك وجدوا فيها أمة مستقلة غازية حاكمة اتسعت رقعة مملكتها خارج حدودها ، وعنيت

بنشر ثقافتها عناية محمودة ، فوجدوا من هذا ، الأساس الوطيد لبناء مجيد .

وكنا نرجو لو أن المماليك نهجوا فى سياستهم الداخلية منهجاً يرمى إلى إعزاز الشعب وإنهاضه ، والسمو بمستواه الروحى ، واتبعوا إزاءه هـذا النهج الحميد الذى اتبعه والى مصر وعميدها الكبير محمد على ، بعدهم بنحو ستة قرون .. إذاً لاستطاع الشعب المصرى أن يغير وجه التاريخ ، وأن يفرض سيادته — على الأقل — على هذه الرقعة الواسعة من غرب آسيا أكثر مما فرض . ولتحققت لمصر على يدهم ، أحلام محمد على ، الذى صادفته عقبات لم يكن لها وجود فى العصر المملوكى ، كأطماع الدول الأوربية به ، ووقوفها سداً منيعاً وعصبة واحدة فى سبيل توسعه . ولكن المماليك تجاهلوا الشعب وأنكروا مواهبه وتناسوا حقوقه ، وفرضوه بقرة حلوبا تدر لهم وهم ملاكها .

حقاً ! قد كونوا لأنفسهم جيشاً عظيما كثيفا مزوداً ، حفظوا به كيان دولتهم وفرضوا مهابتها ، ووسعوا رقعتها ، وحكموا به فيما حكموا البلاد الشامية والحلبية والحجازية ، حتى أصبحت سلطنتهم أقوى سلطنات المسلمين شرقاً وغرباً . وفى هذا ما فيه من إعزاز لمصر ، وتقوية لمنوياتها ، وتنشيط لروحها .

غير أنهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً ، وراشوا للروح القومية سهاماً قاتلة جديرة بالقضاء عليها ، قمينة بأن تورث فى النفوس ضعف الثقة بكفاياتها ، والارتياب بمواهبها ، والشك فى نباغتها .

لقد كان منهم الجافى الطبع الكثير الصلف ، المتتابع الجور السريع إلى تقرير الضرائب الفادحة ، العاجل إلى المصادرات الظالمة ، البالغ فى فرض الغرامات المالية والعقوبات .

حقا كان السلاطين والأمراء فى طليعة ملوك الإسلام وأمرائه احتضاناً لشرعه ، وتشجيعاً للعاملين على نشر سننه ، واحتفاظاً ببلاده . ولقد احتضنوا الخلافة بعد زوالها من بغداد ، فجددوا لها شباباً ، وألقوا عليها ثياباً ، وأنشئوها نشئاً آخر منذ عصر الظاهر بيبرس . وهى على علاتها قد جعلت القاهرة — فيما جعلها — رمزاً ومحوراً تطيف به قلوب المسلمين .

ولكننا لا ننسى أنهم كانوا يباينون أهل البلاد وعامة شعبها فى اللغة والجنس ، ولم يحاولوا السير خطوة واحدة فى سبيل محو هذه الفوارق الأصيلة الجوهرية ، التى من شأن بقائها وطول قيامها أن تصيب الروح القومية فى الصميم ، وتعمل على هدم الكيان الوطنى ، والفرقة بين عناصر الأمة .

بل لا نغلو إذا قلنا إنهم بكثير من تصرفاتهم ، وبألوان من فهمهم السقيم قد زادوا هذه الفرقة وعملوا على هذا الهدم .

ونقصر حديثنا هنا على ثلاثة عناصر ذات مساس مباشر بالنواحى المعنوية فى النفوس ، مبعث الروح القومية الصحيحة ، وهى ملكية الأراضى الزراعية ، والجندية ، والتعليم .

أما ملكية الأراضى الزراعية فقد حرموها على أهل البلاد ، وقصروها على الطبقة الحاكمة ، وهى المكونة من السلطان وأمرائه وجنودهم ، ولعل لهم عذراً إذ وجدوا مثل هذا النظام الإقطاعى كان قائماً من قبلهم فى عهد بنى أيوب وغيرهم ، وقد قسموها على أنفسهم ، واتبعوا فى تقسيمها أحد نظامين يسمى كل منهما « الروك » وهما الروك الحسامى نسبة إلى ملك مصر حسام الدين لاچين ، والروك الناصرى نسبة إلى ملك مصر الناصر محمد بن قلاوون .

والنظام الناصرى هو الذى اتبع فى أكثر أعوام العصر . ويتلخص فى أن الأرض الزراعية تقسم إلى أربعة وعشرين قيراطاً .. للسلطان منها عشرة ، وللأمراء والجنود أربعة عشر . ويختلف عنه النظام الحسامى فى نسبة الأنصبة .

ثم قسمت الأراضى إلى قطع ذات مساحات مختلفة ، كل منها يسمى إقطاعاً . يهب السلطان منها ما يشاء للأمراء والجنود فى حدود النسبة المبينة المتفق عليها . والإقطاعات لا تورث بل ترد إلى السلطان بموت أصحابها . وكذلك يستردها السلطان إذا شاء لسبب من الأسباب ، أو يستبدل بها غيرها .

وصاحب الإقطاع يستغل أرضه وينتفع بثمراتها كما يشتهى وفق هواه ، مستعيناً بمن يسكن فى الإقطاع من الزراع .

ونحن لا نريد هنا أن نفيض فى وصف تلك النظم الشائنة . وإنما همنا أن نشعر القارئ الكريم بما كان يعانيه المواطن المصرى ، وبخاصة الزراع ؛ فقد حرم عليه أن يملك أرضاً ولد فيها جده وأبوه ، وبنيانه وبنوه ، ووهب لها كل ما فى قلبه من حب ،

وما فى جسده من قوة . ثم هو لا ينتفع بشىء من غلاتها يتناسب وما يبذل فى سبيله من جهد وكد وكفاح وعرق . فأية غضاضة ترين على نفسه وأية مرارة تفيض على فؤاده ، وأى ضعف ينتاب روحه ، وأى وهن يصيب معنويته حينما يشعر بما يعانيه من حرمان وقسوة وشظف عيش ... ؟

لقد عرف الزارع حينذاك بأنه « فلاح » . فقد قال المقريزى ما نصه : « ويسمى المزارع المقيم بالبلد « فلاحاً » قراراً ، فيصير عبداً قناً لمن أقطع تلك الناحية ، إلا أنه لا يرجو قط أن يباع ولا أن يعتق ، بل هو قن ما بقى ، ومن ولد له كذلك » .

وقد لبث الفلاح المصرى محروماً ملكية أرض بلاده الزراعية والانتفاع الحر بثمراتها ، حتى صدرت لائحة الأراضى فى عهد سعيد باشا ، فأباحت له الامتلاك والانتفاع ، لأول مرة .

أما الجندية والتعليم فقد سبق لنا أن أشرنا إليهما فى بعض هذه المقالات . ولقد كان بالبلاد نوعان من التعليم : عسكرى وشعبى . أما التعليم العسكرى فقد كان مقصوراً على طائفة المماليك دون سواها لكى تتكون منها جنود الدولة والطبقة الحاكمة من أمراء وسلطان . وكان المدد التقليدى لها ، المماليك الجدد الطارئين على البلاد أرقاء من الأسواق الخارجية . ولا يسمح لأى فرد من أفراد الشعب بالانتظام فى سلك الجندية ، ولا أن يتعلم فى طباقها . كأن المهارة العسكرية وقف على طائفة المماليك دون سواهم ، وموهبة خاصة خلقتها العناية فيهم .. وفى هذا ما فيه من إضعاف للروح القومية ، وقتل للثقة بالنفس ، فكنت ترى الشعب وكأنما استقر فى أفئدة أبنائه أنهم لا يصلحون لحرب أو ضرب ، وأنهم غير أكفاء للدفاع عن أنفسهم ووطنهم .

غير أن من الإنصاف أن نذكر أن الوطنى المصرى الصميم لم ينعم بالانتظام فى مسلك الجندية ببلاده منذ زمن بعيد جداً ، قد يصل إلى ما قبل العهد الرومانى ، ولم يرد إليه هذا الحق الطبيعى إلا منذ النهضة الحديثة فى عهد محمد على .

أما التعليم الشعبى فكان فى جامع أمره دينياً ومكانه المساجد وما شابهها من دور التعليم . وقد أغدق عليه السلاطين إغداقاً محموداً ، وعنوا به عناية مذكورة مشكورة ، وكذلك فعل الأمراء والرؤساء .

وقد وجد الشعب فى هذا الضرب من الثقافة شيئاً يعوضه ما حرمه من التعليم العسكرى ، فكان فيه متنفس لمواهب أبنائه .

ومن حسن الحظ أن طائفة المماليك لم تشارك الشعب فى الأخذ من هذه الثقافة بنصيب إلا لماماً لماماً — وقد يكون هذا من سوء الحظ كذلك — فاتسع نطاق العمل أمام أبنائه الذين يتخرجون فى هذا التعليم الشعبى الدينى ، وسموهم المعممين ، ووكلت إليهم مناصب القضاء الشرعى ، والكتابة ، وما إليهما من الأعمال .

وأهم مايشوب هذا الضرب التعليمى أنه كان يقدم إلى الشعب صدقة عليه وإحساناً ، لا على أنه حقه يؤدى إليه .

ومهما يكن من شىء ، فاختلاف الثقافة هذا الاختلاف الصارخ بين العنصرين ، وحرمان الشعب من التعليم العسكرى — فضلاً عن الاختلاف فى اللغة والجنس — كان له أثره فى شعب هذه الأمة والتفريق بين طوائفها ، وخلق جو من الشقاق والحقد والشك بينها .

وهذه العوامل كلها من دأبها أن تشيع الفرقة بين طبقات الشعب ، وأن تسلط بعضها على بعض ، فيستأثر البعض بالنعيم والسلطان ، ويبوء الآخر بالفقر والحرمان . ولا يتحقق بينهم معنى التعاون الصحيح الناشئ عن الشعور العميق بالواجب ومقتضياته . ولهذا روى ابن إياس أن الشعب امتنع عن دفع الضرائب للأشرف طومان باى سلطان مصر حين الفتح العثمانى مع حاجة هذا السلطان الشديدة إلى الضرائب المذكورة . وكانت حجة الممتنعين أنهم لا يدرون حينذاك لمن البلاد ! ألمماليك هى أم للعثمانيين الفازين ؟ فهم ريثما ينتظرون ريثما ينجلى القتال ويعرف ولى أمر البلاد الشرعى ، فتؤدى إليه الضرائب ...

على أن جميع العوامل التى انتابت الأمة المصرية فى ذلك العصر ، لو انتابت أمة غيرها لقضت عليها القضاء الأخير ، وشتتت شمل بنيها ، وفرقتهم أيدى سبأ ، ولماتى الزمان معجزة إذا همَّ بجمع شملها ولم شعثها مرة أخرى .

ففى بقاء هذه الأمة ، وفى حرصها على الذود عن كرامتها ، والدفاع عن حقها ، والسعى لإدراك آمالها ، ما يدل دلالة واضحة على مذخورها العظيم من القوى الروحية والمقومات المعنوية .

وقد بدت منها هذه الروح فى عصر المماليك فى مناسبات كثيرة ومظاهر جمة . وأبرز تلك المظاهر هذه المكانة التى تبوأها علماء الدين وفقهاء الشريعة ، فقد كانوا من صميم الشعب وناشئته وآت إليهم — كما نوهنا — مناصب القضاء والكتابة والتدريس والفتوى ورعاية الوقف وأموال اليتامى وما إلى ذلك ، فأصابوا حظاً وفيراً من الفقه والعلم والدين والمال جميعاً ، أنبت فى نفوسهم عزة ومنعة ، وفى أفئدتهم أنفة وإباء ، فكان كثير منهم يتأبى إلا على الحق ، ويترفع إلا عن العدالة . وكانوا بطبيعة نشأتهم ، وبطبيعة عملهم الرسمي وغير الرسمي ، ألصق بالشعب وأدنى صلة به وأكرم هيمنة عليه ، وأقدر على التأثير فيه . ولهذا خشيهم السلاطين وتقربوا إليهم لكي يدرءوا عن أنفسهم مغبة سخطهم ، ورحبوا بالوافدين منهم من الأمصار الإسلامية ، الفارين من وجه الطغاة والغزاة ببلادهم . وأخذوا يستشيرون النابهين منهم فى كثير من أمور الدولة ، وبخاصة إبان الأزمات .

ومنهم عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء ، كان ذا مهابة وجلال ، توقف عن مبايعة الظاهر بيبرس بالسلطنة ، فعطلت المبايعة حتى ثبت له عتقه . ومنهم أمين الدين يحيى الأقصرائى الذى كف يد قايتباى — على قوته وجبروته — عن المساس بمال الوقف ، وقد أراد الاستيلاء على شىء منه للانفاق على حروبه ، ولهذه الحادثة أشباه .

على أن العلماء أنفسهم كانوا لا ينون يبذلون البذل الشديد والجهد الجهيد فى نشر الدين القويم بين الناس ، وبث الشريعة السمحة ، والدعوة إلى العمل بها واتباعها ، وتمييز الحلال من الحرام ، فقعدوا للتدريس العام فى المساجد ، وتصدوا للفتوى العامة ، يقصدهم من أجلها القصاد ، ويراسلهم بها المرسلون من فجاج العالم الإسلامى ، فنهضوا بهذا العبء أفضل نهوض ، وجرى الجدل بين بعضهم والبعض بسبب هذه الفتاوى والمسائلات . والعامة ترقب نتيجة الجدل وعاقبة النقاش ، وتتعصب للبعض على البعض ، وتتحيز لفريق دون فريق ، فكان من وراء ذلك حركة ذهنية فكرية لا بأس بها ذات مساس بالعقيدة ، ووجد الناس فيها عوضاً عن هذا الكبت السياسى ، وبديلاً من هذا الحرمان العسكرى ، ومتنفساً عن هذا الاختناق .

ومن المظاهر الجلية لتلك الحياة الفكرية المحاكمات التى جرت على بعض العلماء المجتهدين — كابن تيمية الحرانى وتلميذه ابن القيم — بسبب بعض آرائهما وأدى ذلك إلى سجنهما . واشترك فى الجدال عدد جم من أفاضل علماء العصر ، وألفت فى موضوعاته شتى الرسائل والمؤلفات .

وفى عهد الأشرف قايتباى قامت فتنة كبرى بين العلماء وتابعهم فيها العامة ، واشترك فى لجتها العلماء . وكانت بسبب الشاعر الصوفى عمر بن الفارض — أحد شعراء القرن [illegible] — وما ساقه من ألفاظ وعبارات فى تائيته المشهورة ، مما رمز به إلى الذات الإلهية . فكفره بعضهم ونسبه إلى الحلول ، واعتذر له البعض بضيق اللغة عن أداء معانيه النفسية ، وكانت ضجة كبرى ظلت زمناً ، وألفت فيها الرسائل والمقالات والبحوث والأشعار ، وأوذى بسببها بعض العلماء ، حتى حسمها السلطان بفتوى كتبها شيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، وكانت فى صالح ابن الفارض .

وإذا علمنا أن الدول الإسلامية فى تلك العصور كانت تقوم على أساس من الدين متين — والدين أهم دعائمها — تبين لنا خطر مثل هذه الفتن والمشكلات ، وفهمنا أنه تمت بصلة ما إلى سياسة الدولة وعقلية الجماهير ومشاعرهم .

من هذه الحوادث وأشباهها نستدل على أن روح المعارضة والإقدام على النقد كانا على ضرب من الحياة محمود ، والنقد والمعارضة الصالحة بعض مظاهر الروح القومية ومقومات الرأى العام

وقد سبق لنا فى إحدى هذه المقالات أن تحدثنا عن النقد الاجتماعى وبينا كيف تناول كثير من الأدباء والشعراء الحياة الاجتماعية بالنقد المرير الساخر فنقدوا الأسرة ونظامها وعلاقات أفرادها بعضهم بالبعض ، والنظام الإدارى وما فيه من فوضى واضطراب وقلق وسرقات وادعاءات ورشوة وعناء وظلم ، وما بين طوائف الأمة المختلفة جنساً ولغة وديناً من أحقاد وإحن . وقد مزج بعض الشعراء نقده اللاذع بالتورية والفكاهة والدعابة فخرج مخرجاً كيساً مقبولا .

والحق أن الشعب المصرى كان — على علاته — ذا إحساس سياسى ناقد عجيب ، شارك به فى حادثات بلاده على اختلاف

القوة الحربية لمصر والشام

فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمـــد أحمد بدوى

— ٤ —

وتنوعت سفن الأسطول ، فكان منها الشوانى Oyaleres وهى أكبر السفن الحربية فى مصر وأكثرها استعمالا ، وكانت أهم القطع التى يتألف منها الأسطول ، وهى سفن حربية كبيرة تتخذ بها الأبراج المظيمة والقلاع ، وتزود بالمدد الحربية ، وتجهز بالأسلحة والنفطية لتستعمل فى الهجوم على الأعداء والدفاع عن نفسها إذا هاجمها العدو ، وبها اللجام وهو حديدة طويلة محدودة الرأس تقذف به سفن العدو لتغرقها . وبها أيضاً كلاليب وهى خطاطيف كبار من الحديد تطرح عليها فتوقفها (١) . ومنها الجلاسات Gyaléasses مفردها جلاسة وهى نوع من السفن الحربية الكبيرة تسير بالشراع والجاذيف وهى أثقل وأقوى من الشينى . والسطحات وهى من أكبر سفن الأسطول . وكذلك السلنديات وهى مراكب حربية كبيرة مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح وتمادل فى أهميتها الشونة والحراقة . والبطسات وهى من أشهر أنواع السفن فى أيام الحروب الصليبية ، قد يكون لها أربعون قلماً(١) كانوا يشحنونها وقت الحرب بالآلات والأقوات والميرة والرجال والمقاتلة والأسلحة وآلات الحصار وكانت تحمل آلاف الجند ، ولها أسطح عالية ، وطبقات كل طبقة خاصة بفئة من الجيش . والغربان ولا يبعد أن يكون اسمها مأخوذاً من اسم الغراب لأن مقدمها على شكل رأسه(٢) ، وهى تحمل الغزاة وسيرها بالقلع والجاذيف منها ماله مائة وثمانون مجذافا . والمشاريات وتجر بعشرين مجذافا ، ولعلها كانت خاصة بالرؤساء ، كما يفهم من وصف عبد اللطيف البغدادى لها . والقوارب نافعة لغزاة المسلمين وقت الحرب فى البحر ، يكون فى كل قارب أربعة أو خمسة من الرماة يعينون غربان المسلمين على قتال غربان الفرنج

(١) نظم الحكم بمصر ص ١٨٢ .

(١) النوادر لابن شداد ص ١٤٩ .

(٢) خطط المقريزى ج ٣ ص ٣٢ — ٤٤ .

ألوانها . يبدو لنا ذلك مما يقحمه بعض المؤرخين — كابن إياس — من العبارات فى ثنايا رواياتهم التاريخية كقولهم فى سياق حادثة ما: « كثر القيل والقال » و « أرجف الناس » و « فأشيع بين الناس » و « فضج الناس له بالدعاء » إلى نحو ذلك من العبارات . وأذكر أن ابن إياس قال فى إحدى عباراته ما مؤداه : « إن أهل القاهرة ما تطاق ألسنتهم ، وبل لامرىء تقع عيونهم منه على مذمة »

هذه العبارات وأشباهها تشعرنا بوجود ذلك الإحساس الذى أشرنا إليه ، وإن كانت ساذجة غامضة . غير أن هذا الإحساس لم تتح له حرية كافية للظهور والعمل خوفاً من المستبدين الطغاة ، ولم ينضج نضوجاً كافياً يسمو به إلى تكوين رأى عام له أثر فى سياسة الدولة وإدارتها .

على أن التاريخ يحدثنا أن الشعب كثيراً ما نهض إلى معونة حكامه فى حروبهم الخارجية ، وقدم إليهم ما طلبوا من الدواب والغلال والمال ، ولم يتأب كثيراً على الضرائب التى يفرضونها عليه ، ولكنه كان يتأبى عليها ويقاومها إذا كانت فادحة ظالمة . ومثال ذلك ما حدث فى عهد الأشرف الغورى ، فقد فرض ضريبة جائرة ضج لها الناس وثاروا فى وجه نائب سلطنته وغيره من الأمراء ، وعرضوا لهم فى الطريق ورجموهم بالحجارة ، فأعمل المماليك فيهم السيف وقتلوا منهم وأثخنوا فيهم .

والذى نحب أن نخلص إليه — ما سبق أن نوهنا به — وهو أن هذا الشعب المصرى الكريم — على علاته — تكمن فيه روح قومية فطرية قوية سليمة تحتاج إلى ما يظهرها ويحسن توجيهها ويسير بها فى الطريق السوى بما يعود بالنفع والعزة لهذا الوطن الكريم .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

وقراقيرها(١) . والبركوشات وهي مراكب صغار .

ومنها الحراقات وهي نوع من السفن الحربية كانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية ، وكان بها مرام ومنجنيقات تلقى منها النيران على العدو(٢) ، وكان في مصر نوع آخر من الحراقات في النيل استخدم لحمل الأمراء ورجال الدولة في الاستعراضات البحرية والحفلات الرسمية(٣) .

والحمالات وهي مراكب حربيــة تحمل الأزواد للرجال ، وآلات الحرب والحصار من الأخشاب الكبار والدبابات وأبراج الزحف وغير ذلك ، ويكون فيها غلمان الخيالة وصناع المراكب ؛ والقراقير ، ولا تقف إلا في المكان الغزير الماء لأنها سفن عظيمة تحمل الزاد والكراع والمتاع للأسطول ؛ والطرائد وهي سفن صغيرة سريعة الجرى كانت تستعمل غالباً لحمل الخيل وأكثر ما يحمل فيها اربعون فرساً .

والشيطي ووظيفته الكشف والاستطلاع .

وعني الخلفاء والسلاطين بتوفير الخشب للأسطول فكانوا يعينون له الحراج ومنها ما هو بالوجه القبلى في البهنسا وسفط والأشمونين وأسيوط وإخميم وقوص وغيرها(٣) ، والحراج أشجار من سنط لا تحصى كثرة في أرجاء المملكة ، ويأمرون بحفظها ، وألا يقطع منها إلا ما تدعو الحاجة إليه(٤) ، وأحياناً تصنع من خشب الجميز ، وهو الخشب الذى جهز به الظاهر بيبرس شوانيه بدل ما تحطم له عند قبرص(٥) ، وحيناً يستخدم له شجر الأثل والنبق والسرو ، وكثيراً ما كانت الأخشاب تجلب من بلدان أوربا الجنوبية على أيدى البنادقة(٦) .

وكان لصناعة الأسطول ثلاثة أماكن بمصر هى جزيرة الروضة ودمياط والإسكندرية(١) ، وموانيــه التى كان يرابط بها هى دمياط والإسكندرية وعيــذاب على شاطئ البحر الأحمر(٢) ، وعسقلان وعكا وصور وغيرها من سواحل الشام قبل أن يغلب الفرنج عليها(٣) .

والظاهر أن جند الأسطول في العصر الفاطمى كان مكوناً من المغاربة لمرفتهم بمعاناة البحر(٤) ، وفى عهد صلاح الدين استخدم جنوداً مغربية كذلك وجنداً من المصريين الأقوياء الأشداء(٥) ، وظل المصريون هم المورد الأساسى للأسطول حتى بعد انتقال السلطان إلى المماليك ، فإنا نجد بيبرس يجهز أسطولا لغزو قبرص ، فيه الرئيس ناصر الدين عمر بن منصور رئيس مصر ، وشهاب الدين محمد بن ابراهيم بن عبد السلام رئيس الإسكندرية ، وشرف الدين علوى بن أبى المجد بن علوى العسقلانى رئيس دمياط ، وجمال الدين مكى بن حسون مقدماً على الجميع(٦) ، فلما جاء خليل بن قلاوون رتب بالأسطول عــدة من المماليك السلطانية وألبسهم السلاح(٧) وإن كان الجند المصرى له الغلبة أيضاً ، وكذلك جند المماليك في الأسطول في عهد الناصر محمد بن قلاوون(٨) .

وكانت التعبئة البحرية تشبه أختها البرية أحياناً ، فقد يصنع أمير البحر من سفنه قلباً وجناحين ومقــدمة وساقة وقد يصنع مراكبه على شــكل نصف دائرة حتى إذا حاول العدو الاقتراب منها أحاطت به ، وقد يقابل أمير البحر عدوه بمراكبه صفوفاً مستقيمة فتنطح مراكبه مراكب العدو باللجام قريباً من مؤخرها لتفرقها ، أو يشغل أمير البحر مراكب خصمه ببعض المراكب ثم ينقض عليه مرة واحدة من ورائه وهكذا(٩) .

(يتبع)

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

(١) تاريخ المماليك البحرية لعلى ابراهيم حسن .
(٢) محيط المحيط .
(٣) كما يفهم من كلام المقريزى جـ ٣ ص ٣١٥ .
(٣م) نظم الحكم بمصر ص ١٨١ .
(٤) خطط المقريزى جـ ٣ ص ٣١٥ .
(٥) المرجع السابق ص ٣٠٠ .
(٦) نظم الحكم بمصر ص ١٨١ .
(١) خطط المقريزى جـ ٣ ص ٢٨٩ و ٣١٥ .
(٢) لين بول ص ١٥٥ .
(٣) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٥١٩ .
(٤) خطط المقريزى جـ ص .
(٥) الحروب الصليبية للحريرى ص ١٨٧ .
(٦) النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٥٤ .
(٧) خطط المقريزى جـ ٣ ص ٣١٦ .
(٨) المرجع السابق ص ٣١٧ .
(٩) نظم الحكم بمصر ص ١٨٤

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

كاتب لا يعرف قدر نفسه :

سلامة موسى هو الكاتب الذي أعنيه ... ولو كان يعرف قدر نفسه لما تهجم على أستاذين يعرف قدرهما المثقفون لا أنصاف المثقفين من قرائه والمعجبين به ! .

لقد كتب حضرته كلمة في العدد (١٨٨) من مجلة المسامرات عن الشاعر الألماني جيته تحت عنوان « مثل الأعلى » ... ومن حسن حظ الشاعر الخالد أنه ودع الحياة قبل أن يعلم أنه مثل أعلى لسلامة موسى ، وقبل أن يقرأ كلمة يستطيع أن يكتبها عنه بعض النابغين من طلبة المدارس الثانوية ! .

لا يهمني أن أنقل للقراء ما كتب هذا الرجل في مجال الحديث عن جيته ، لأن صفحات « الرسالة » تضيق بهذا الطراز من المعلومات التي يعرفها صغار الطلاب ... ولكن يهمني أن أنقل إليهم هذه الفقرات التي تكشف عن مركب النقص في الشخصية الأدبية :

« وقد ترجم من كتب جيته إلى العربية كتابان الأول آلام فرتر الذي ترجمه و « ألفه » الأستاذ أحمد حسن الزيات ، والثاني فاوست الذي ترجمه الدكتور محمد عوض محمد ... وكلتا الترجمتين لا تحتفظ بالروح الأصلي لقصتي الشاعر الألماني ، وعلى من يريد الوصول إليه أن يرجع إليهما في الألمانية أو الفرنسية أو الإنجليزية » ! .

هذه كلمات رجل يتقلب على جمرات محرقة من مركب النقص ، ومركب النقص في حياة سلامة موسى أنه تناول قلمه ليكتب منذ ربع قرن ، ومع ذلك فهو ينظر فيجد نفسه في مؤخرة الصفوف ... من هنا ينبع حقده الدفين على هؤلاء الذين ارتقوا سلم المجد الأدبي في وثبات وخلفوه على الأرض ! .

ترجمة الزيات عن الأصل الفرنسي لا تعجب سلامة موسى ، وترجمة عوض محمد عن النص الألماني لا ترضي سلامة موسى ... وعلى الذين يريدون الوصول إلى الروح الأصلي أن يرجعوا إلى سلامة موسى وقلمه ، قلمه الذي يذكرني بأقلام المترجمين في روايات الجيب ! .

مركب النقص ولا شيء غير مركب النقص ... ولن يغير هذا المركب البغيض شيئاً من هذه الحقيقة المؤلمة التي يحس لذعها الرجل ، وهي أنه يوم تؤرخ هذه الفترة من أدبنا العربي المعاصر فلن يذكر فيها اسمه إلا في مجال التسجيل الإحصائي ! .

إن الثقافة المهوشة والمعلومات المبعثرة لا يمكن أن تحتل مكانها في تاريخ الأدب ، إلا إذا قدر لتاريخ الأدب أن يكتبه المعجبون بقلم الأستاذ سلامة من قراء « النداء » !! .

كرافتشنكو مرة أخرى :

إنك تذكره بلا ريب .. هذا الموظف الروسي الكبير صاحب « آثرت الحرية » . ولقد حدثتك في عدد مضى من « الرسالة » عن الكتاب وصاحبه ، وعن تلك الضجة التي أثارتها حوله مجلة « لي ليتر فرانسيز » ، وهي الضجة التي شغلت الرأي العام الفرنسي قبل أن تأخذ طريقها إلى القضاء ، وشغلت الرأي العام في العالم بعد أن دفع بها كرافتشنكو إلى أيدي العدالة مطالباً بمعاقبة خصومه طبقاً لنصوص القانون ! .

يقول خصوم المؤلف الروسي إنه كذاب يبرأ منه كتابه بكل ما حوى من تضليل وخداع ... ويقول كرافتشنكو إن لديه الدليل على صحة كل رأي سجله ، وكل قصة أتى بها ، وكل حادث أورده واستند إليه . والرأي العام بعد ذلك موزع الفكر بين مزاعم ومزاعم ، وبين وثائق ووثائق ، وبين شهود وشهود ، يترقب اليوم الذي يقول فيه القضاء كلمته ... وإنها لكلمة تقرر مصير الكتاب ومستقبل صاحبه ، وتحدد مكان الخصوم وسمعة الصحيفة الفرنسية .

كرافتشنكو في رأي خصومه سكير ومحتال وجاهل وكذاب وخائن . ولكن تجريحهم لشخصيته يستند أول ما يستند إلى تلك الدعامة الكبرى من دعائم الاتهام وهي الكذب . إنهم يسلكون شتى الطرق بغية الوصول إلى هذا الهدف الذي تتحطم

على سخوره كل حقيقة من حقائق « أزرت الحرية » ، وهو أن كرافتشنكو كذاب بالطبع والسليقة .

فى هذه الدائرة بحضر القاعون على أمر المجلة الفرنسية جهودهم ، ويستمدون أدلتهم من واقع الكتاب وواقع الحياة . أما واقع الكتاب فقد قدمت إليك منه ثلاثة نماذج لثلاثة أسئلة وجهها الخصوم إلى صاحب « أزرت الحرية » عن بعض ما عرض له من وقائع هى فى رأيهم أوهام وأباطيل . وأما واقع الحياة فقد خطر لهم أن يواجهوا كرافتشنكو بزوجته السابقة لتدلى برأيها فيمن كان أقرب الناس إليها ، تلك التى كانت فى يوم من الأيام أقربهم إليه ... ومرة أخرى يقف كرافتشنكو فى مهب العاصفة!

إن الزوجة السابقة تقف اليوم فى ساحة القضاء لتتهم زوجها بالكذب وسوء الخلق وانحراف الطبع ، وإنها لتنتزع الأدلة على صدق قولها من أعماق الذكريات ، ومن واقع تلك الفترة التى جمعت بينهما تحت سقف واحد ثم دفعت بكل منهما إلى طريق ... ولقد كان زواجها منه حجيما لا يطاق ، خرجت منه بطفل تدعو الله ألا يرث شيئاً من أخلاق أبيه !

وهنا يقف كرافتشنكو لنزار كحيوان جريح : إن هذا الذى تنطق به محض افتراء دنىء وادعاء باطل ... أليس عجيباً ألا أسمع إلا فى هذه اللحظة بأننى أب لطفل لا أعلم شيئاً من أمره ولا متى ولد ؟! إن الملقن الحقيق لهذه الشهادة الملفقة هو الجستابو الروسى ولقد بعث بها من موسكو إلى هنا لتشهد ضدى ... هذه السيدة المحترمة التى لقى أبوها حتفه فى مجاهل سيبيريا تحت وطأة التشريد والتعذيب !

وتنهض الشاهدة مرة أخرى لتصرخ فى وجهه : إنك أكبر كذاب يا كرافتشنكو .. لقد طلبت إليك يوماً أن تساعدنى على تربية طفلك فضننت عليه بعطفك دون أبوتك ، أما أبى فقد مات على فراشه فى موسكو ولم يمت كما زعمت فى مجاهل سيبيريا ! وإنك بعد ذلك لفى الطليعة من صفوف الخونة . . لقد أنكرت بنوتك لوطنك بالأمس فى « آزرت الحرية » وأنكرت أبوتك لولدك اليوم فى ساحة القضاء !

هذه هى المفاجأة الثانية من مفاجآت القضية المثيرة التى يترقب الناس نهايتها بشغف بالغ واهتمام كبير .. وفى انتظار كلمة القضاء نستطيع أن نؤكد حقيقة ليس إلى إنكارها من سبيل ، وهى أنه لو قدر لكرافتشنكو أن ينتصر على خصومه لكان انتصاره لطمة قاسية للشيوعية الروسية والفرنسية ! ترى من سيخرج من هذا النضال مرفوع الرأس ! سؤال نجد الجواب عنه فى الغد القريب .

رسالة من أديب ثائر :

سيدى الأستاذ أنور ،

هذه الرسالة لك وحدك لا للبريد الأدبى .. كما أضمن الحرية لقلمى .

بل يا سيدى ، هأنذا وقد رجعت إلى عدد « الرسالة » الماضى كما أشرت أرانى قد حرت وفى مخيلتى ما أعجز عن أن أصوره بيراعى . لقد نقلت لنا فى تعقيبك على كلمة الأستاذ الصعيدى فى مسرحية « الملك أوديب » بأنه إنما بنى انتقاده للمسرحية على أنها من الأساطير ، فهى من ألاعيب كهان جهلة -- كما زعمت مما جعلك تسترسل فى قذفك له بذلك التهكم اللاذع ، حين رميته بسذاجة النظرة الخ .. وياليت الأمر قد وقف بك عند هذا الحد ، ولكنك قد اجترحت ما لا تغفره لك لغة قومك ولغتك التى نسبت إليها النقص ! وإنى أحيلك يا من تعرف غير لغتك إلى البحث عن أصول فن المسرحية والمبتغى منه ... ثم لتراجع المسرحية مرة أخرى وترجع بعد ذلك إلى رأى الأستاذ الصعيدى مدققاً النظر : هل ما أراد هو ما أردت ، أم أنه رأى فيما أورده « سوفوكليس » من حوادث مضطربة فى مسرحيته بعداً عن الغرض الذى سيقت له ؟ وهل بلغت أوج الكمال الفنى أم أنها بحق ألاعيب كهان جهلة ... ؟

وكأنى من عجلة تجر صاحبها إلى حيث تتقطع راحتاه من الطرق على أبواب الندم .

وإلى الأستاذ أطيب تحياتى .

الثائر

محمد الهادى عطية

هل تستطيع أن تخرج بشىء من هذه الرسالة الرائعة ؟ إنها امتحان عسير لقدرتك على الفهم ، وتجربة طريفة لاختبار مقاييس الذكاء . أما أنا فقد رسبت فى الامتحان وأعلن ذلك على رءوس الأشهاد ! لماذا نشرتها إذن وقد بعث بها صاحبها إلىّ وحدى ؟ لقد نشرتها لسبب واحد ، هو أن أطمئن حضرة الثائر على أن

أعصابى تحتمل فى كل يوم كثيراً من اللغو الذى يضيع معه الوقت والفائدة، ولأطمئنه أيضاً على أنى كما أبيح الحرية لقلمى أبيحها لأقلام الناس، ولو ..وا من النبوغ هـذه الرتبة العالية التى بلغها السيد عطية!

لقد خشى الأديب الثائر — وأتوسل إليه أن يترفق بأعصابه حرصاً على صحته الغالية — خشى أن يبعث بكلمته إلى «الرسالة» فلا تحظى بعطف «البريد الأدبى»، ومن هنا بعث بها إلى كى يضمن الحرية لقلمه!

ترى هل اطمأن على أن كلامه القيم قد اطلع عليه القراء؟ هذا هو الأمر الوحيد الذى تقطعت بسببه راحتاى من الطرق على أبواب الندم!

من عجائب الترجمة فى العصر الحديث:

تسمع فى العصر الحديث عن عجائب المخلوقات فهل سمعت عن عجائب الترجمة؟

هذا موضوع طريف أعددته للنشر والتعقيب، ولكن الأستاذ الجليل صاحب الرسالة قد سبقنى إلى الإشارة إليه فى ثنايا كلمته التى طالعها القراء فى الأسبوع الماضى حيث قال: «يقع الحادث اليوم بمرأى من الناس ومسمع، فتحكيه الألسن وترويه الصحف، فلا تجد لساناً يوافق لساناً، ولا صحيفة تطابق صحيفة! وتقرأ صحف العاصمة فى حادثة من حوادث المدن، أو واقعة من وقائع الأقاليم، أو أمر من أمور العالم، فتجد له فى كل جريدة رواية تناقض كل رواية، وصيغة تعارض كل صيغة، حتى ليبلغ الخلاف بينها حد التنافر، فتراها مثلاً يوم الأحد الماضى تجمع على أن الشرط اكتشفوا فى شارع من شوارع القدس لغماً من البارود، ولكن (البلاغ) تنفرد بأن الذى كشفوه منجم من الرصاص!»

هـذه هى إشارة أستاذنا الزيات إلى إحدى عجائب الترجمة حيث انفردت بها جريدة البلاغ. والخبر الذى أذاعته وكالة «اليونيتدبرس» وترجمته الصحف المصرية ومنها «البلاغ» يتمثل فى هذه الكلمات: «اكتشف مراقبو هيئة الأمم المتحدة لغماً أرضياً فى الطريق الموصل إلى بيت الحكومة فى القدس، حيث يقيم أعضاء لجنة فلسطين التابعة للهيئة. وقال المراقبون إنهم تتبعوا السلك المتصل باللغم إلى أن وصلوا إلى نقطة تابعة لإسرائيل المزعومة، وإن اللغم كان فى المنطقة المحايدة التى تحيط ببيت الحكومة. وأضاف المراقبون إلى ذلك أن تقريراً بهـذا الحادث سيرفع إلى السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة... الخ».

لغم فى كل الصحف ومنجم رصاص فى «البلاغ».. والذنب فى ذلك ذنب المترجم اللبق الذى رجع إلى القاموس فاكتفى بالمعنى الأول لكلمة (Mine) ولم يكلف نفسه عناء الاطلاع على المعنى الثانى! ولو فرض أن مترجم (البلاغ) لا يعرف غير معنى واحد للكلمة فكيف غاب عن ذكائه أن الكشف عن منجم رصاص لا يستحق كل هذه الضجة، ولا يستحق أن يرفع بشأنه تقرير إلى سكرتير هيئة الأمم المتحدة؟! كيف غاب عن ذكائه أن المعنى المقصود لا يستقيم مع «منجم الرصاص» فلا بد للكلمة من ترجمة أخرى؟!

«تشنيعة» على السرياليزم:

قلت وأنا فى معرض الحديث عن المذهب السريالى فى العدد الماضى من «الرسالة» إن هذا المذهب الجديد لا يشق طريقه فى فرنسا وهى موطنه الأول بسهولة ويسر، لأن خصومه الكثيرين يهاجمونه فى عنف لا هوادة فيه، ويرمون أصحابه بالدجل والخروج على كل مألوف من أوضاع الفن!... قلت هـذا بالأمس، ويهمنى اليوم أن أقدم للقراء هذه «التشنيعة» الطريفة التى يهديها خصوم المذهب السريالى إلى الرسام بيكاسو:

أقام بيكاسو معرضاً لصوره فى إحدى المدن الفرنسية، وفى يوم من الأيام الزاخرة بالزوار والمشاهدين، وقف أحد الفنانين يتأمل لوحة فريدة أشير إليها بهاتين الكلمتين: «هتك عرض»! وقد يتأملها ساعتين دون أن يخرج بشىء يوضح الصلة بين اللوحة وما جاء تحتها من كلمات يأباها الذوق والسمع... وعندما هم بمغادرة المكان شاكا فى ذكائه سمع صوتاً ساخراً يقول له:

— ثق يا صاحبى أن ذكاءك بخير... لقد وقفت أمام هذه اللوحة ساعتين دون أن تفهم شيئاً، فهل تعلم أنى وقفت أمامها أربع ساعات دون جدوى، أنا الذى قُدمت إلى محكمة الجنايات ست مرات بتهمة هتك عرض؟!

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأسمر يسطو على شعر الزين :

قال الشاعر الذي فقدناه منذ عام وبعض عام ، الأستاذ أحمد الزين ، فى مطلع رثائه لشاعر النيل حافظ إبراهيم :

أفى كل حين وقفة إثر ذاهب   وصوب دم أقضى به حق صاحب
أودع صحبى واحداً بعد واحد   فأفقد قلبى جانباً بعد جانب
تساقط نفسى كل يوم فبعضها   بجوف الثرى والبعض رهن النوائب
فيادهر دع لى من فؤادى بقية   لوصل ودود أو تذكر غائب
ودع لى من ماء الجفون صبابة   أجيب بها فى البين صيحة ناعب

وأخيراً قال الأستاذ محمد الأسمر فى تأبين المغفور له محمود فهمى النقراشى باشا :

أفى كل يوم دمعة خلف غائب   وفى كل يوم لوعة بعد غارب
رجال كأمثال النجوم فثاقب   مضى وهو لماع سنى إثر ثاقب
لأوشك دمعى أن تجف شؤونه   على كل ماض ليس يوماً بآئب
إذا ما انتهينا من رثاء لذاهب   بدأنا رثاء بعد ذاك لذاهب
أما يستريح الشعر فى كل ساعة   رثاء لحر ، أو رثاء لصاحب

وقد كان الأسمر صديقاً للزين ، فهل استباح السطو على شعر صديقه الراحل بحق الصداقة ؟ وهل هذا نوع جديد من الوفاء بين الشعراء ؟ أو هو مذهب جديد فى الأدب يقضى بإرث الصديق للصديق فيما قاله من الشعر ..؟ أوحسب الأسمر أن الزين قد قضى وانطوى شعره ، وأن أحداً لن يراه وهو يتسلل إلى مراثيه يستمد منها ما يجلجل به على المنابر ؟ على أننى عجبت للأسمر وما هو بالعاجز عن النظم ، أن يكون أخذه من شعر الزين هكذا ظاهراً مكشوفاً .. دع عنك اتحاد الوزن والقافية ، وانظر إلى الألفاظ والمعانى . اللهم إلا إذا قدرنا جهده الجبار فى استبدال (يوم) بـ (حين) والعدول عن (وقفة) إلى (دمعة) ثم تحويل (إثر ذاهب) إلى (خلف غائب) فى البيت الأول مثلا ! وكأنى به قد أمسك بكل بيت من أبيات الزين ، فخنقه ، فأخذ أجزاء منه ميتة فبنى بها بناء لا تسكنه روح ، فقضاء حق الصاحب بسفح الدموع قضى نحبه فى البيت الأول على يد الأسمر ، وكذلك كان مصير فقدان القلب تباعاً من توديع الراحلين المتتابعين فى البيت الثانى ، وهكذا لحقت بقية الأرواح النابضة فى أبيات الزين بروح صاحبها وانتقلت إليه فى العالم الآخر . وانظر إلى الزين يستبقى الدهر بعض فؤاده ويسأله أن يدع من ماء الجفون ، ليقضى حق الصاحب الودود ويستجيب لداعى البين حين يصيح الناعب ، ثم انظر إلى الأسمر الملول الذى يطلب الراحة للشعر ، فالأول يندمج فى جو الحزن ويستعذب بكاءه ويستبقى للآتى بعده ، أما الثانى فهو ضجر من وقفته يستعجل الخلاص منها ، فيقول :

أما يستريح الشعر فى كل ساعة   رثاء لحر ، أو رثاء لصاحب ؟

ولست أدرى لم رثى (الصاحب) إذا كان شيئاً آخر غير (الحر) ! كما لا أدرى معنى التنويع بين الحر والصاحب ، ولم لا يكون الصاحب حراً ؟

وبعد فقد كان أحمد الزين وفياً لأصدقائه الراحلين من الأدباء والشعراء ، حتى لقد قصر مراثيه عليهم ، فهل هذا جزاؤه ممن رحل عنهم من الأصدقاء ؟ لكأنه كان يقول فى نفسه حينما قال فى حافظ :

وفىّ وفاء الرسل بين معاشر   نصيب الحمى منهم وفاء الثعالب
يدورون بالأمداح يبغون مأرباً   فيا ضيعة الأوطان بين المآرب

أو كما قال فى ختام هذه المرثية الخالدة :

إذا الشعب بالإهمال أرسب عالياً   فلا بدع لو يعلو به كل راسب

بين مدير الإذاعة وأم كلثوم :

لم يعد خافياً ما نشأ من خلاف بين الإذاعة وبين أم كلثوم فى شأن إذاعة مسجلاتها الغنائية . ويظهر أن الأستاذ محمد قاسم بك المدير العام للاذاعة قد هالته طلبات أم كلثوم الباهظة فوقف فى سبيلها . ومن هنا نشأت بين الاثنين معركة طريفة ، تستمد

طرافتها من مظاهرها ، فقد كتب الأستاذ محمد التابعي يدافع عن أم كلثوم ويقول باستحقاقها ما تطلب من مال ، ويهاجم شخص المدير . ورد عليه الأستاذ عبد الرحمن الخميسي بمقال في جريدة « المصري » عنوانه « الأغاني في السوق السوداء » وصف فيه الأستاذ التابعي بأنه صديق أم كلثوم . ونشرت « البلاغ » مقالا بعنوان « الآنسة أم كلثوم تتقاضى أكبر مرتب في الدولة » ثم نشرت « أخبار اليوم » مقالا هاجمت فيه مدير الإذاعة وحسبت ما يتقاضاه من الإذاعة ومن معاشه في الحكومة فإذا هو ٣٠٦٠ جنيهاً سنوياً على حين أن مرتب رئيس الوزارة ٢٥٠٠ جنيه فقط .

وكأن مؤيدي أم كلثوم يقولون ليست هي وحدها التي تأخذ مالا كثيراً من الإذاعة أو تريد أن تستزيد من المال . ولكن هل هذا يبرر مطالبها ؟ إنها الآن تأخذ من إذاعة مسجلاتها ٦٣٠٠ جنيه في السنة وتريد أن تزيدها إلى عشرة آلاف وثمانين جنيهاً ، وكل ذلك دون أن تبذل أي جهد ، ولكنها وجدت الإذاعة « صـــلا » فتريد أن « تلحسها » كلها ..

وعقدة الخلاف أن الإذاعة تحرص على رضاء المستمعين وعدم حرمانهم غناء أم كلثوم وهي تعلم ذلك فتتغالى في الثمن وتعلم أيضاً مكان (خاطرها) من أعضاء مجلس الإذاعة .

ولولا أني لا أريد أن أنتقل من الجد إلى المزح لاقترحت أن ينتقل أمر الإشراف على الإذاعة من وزارة الشؤون الاجتماعية إلى وزارة التموين ليعالج الأمر وزيرها الرجل العظيم صديق الشعب الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، فيضم مسألة الغناء إلى مسائل السكر والصابون والصودا الكاوية ..

ولكني ألزم الجد ، فأقول إن الأمر يتطلب الحزم والصرامة في سبيل الصالح العام ، فحرام أن تبدد أموال الدولة ، والدولة في حاجة إليها ؛ فهذه الأموال إما أن تكون الإذاعة محتاجة إليها في تدبير شؤونها كتحسين البرامج وإنصاف الموظفين وغير ذلك ، وإما أن تكون زائدة على حاجتها فمند الدولة لها ألف وجه ووجه .

جوائز فاروق الأول :

أقيمت حفلة لجوائز فاروق الأول في العلوم الاجتماعية والكيميائية والجيولوجية وعلوم

كشكول الأسبوع

□ كان المقرر أن يجرى الانتخاب بالمجمع اللغوى يوم الإثنين الماضي لاختيار أحد المرشحين لملء الكرسي الخالي به ، ولكن حال دون ذلك مرض معالي الأستاذ أحمد لطفي باشا رئيس المجمع الذي يعالج الآن بمستشفى الدكتور عبد الله الكاتب ، عجل الله لمعاليه الشفاء ومنحه الصحة والعافية .

ولذلك تقرر تأجيل الانتخاب إلى أن يتم شفاء معالي الرئيس . وهناك اتجاه إلى أن يستمر هذا التأجيل إلى أن يمضي أربعون يوماً على وفاة الجارم بك ، ثم يجرى الترشيح للكرسي الثاني ، ثم الانتخاب للكرسيين .

□ نشرت « الأهرام » وبعض الصحف الأخرى ما يلي : « طلب إلينا الدكتور طه حسين بك أن ننشر أنه أزمع الانصراف عن الكتابة في الصحف إلى حين »

□ انتهت لجنة التحكيم في مسابقة الثقافة العامة بوزارة المعارف من عملها ، وأعدت نتيجة المسابقة ، وقد فازت قصة « بعد الغروب » بدرجة الامتياز في القصة الطويلة ، واستحق كاتبها الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله الجائزة الأولى وقدرها ١٥٠ جنيهاً .

□ أعلن المجمع اللغوى أن لجنة الأدب به بحثت ما قدم إليها من الإنتاج الأدبي لسنة ١٩٤٩ فوجدت أنه لم يبلغ الدرجة التي تسوغ منحه الجائزة . وقد أحسن المجمع في ضنه بالجائزة على ما رآه دون المثل الذي يستحقها ، ولكن الجدير بالبحث بعد ذلك هو لماذا لم يقدم إلى المجمع ما يستحق الجائزة .

□ من الإنتاج الأخير للأستاذ المرحوم على الجارم بك ، بحث ألقاه في مؤتمر المجمع اللغوى عنوانه « الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية » ، قرر فيه أن العربي جرت سليقته على الاهتمام بالحدث في الأحوال العادية الكثيرة ، فيبدأ الجملة بالفعل ، وقد يلتجئ إلى الجملة الاسمية إذا كان القصد إلى الفاعل وإلى الإسراع بإزالة الشك فيمن صدر منه الفعل .

□ نشرت الأهرام أن محطة الإذاعة بإحدى جمهوريات أمريكا الجنوبية ، أذاعت برنامجا يدور حول كائنات تغزو الأرض من المريخ فأحدث ذعراً في الجمهور الذي هجم على المحطة وأحرق دارها .

والحمد لله على أن إذاعتنا لم تبلغ هذا المبلغ من الإزعاج ، فلا يتجاوز ما تذيعه إحدى تمثيليات يوسف وهبي ، والناس لا يهجمون — بعد سماع برامجها — إلا على (الأسبرين) .

□ وضع معالي وزير المعارف مشروع إنشاء جامعة « محمد علي » بأسيوط ، توطئة لعرضه على مجلس الوزراء ، ويتضمن هذا المشروع أن على الجامعة بجانب شؤون التعليم أن تشجع البحوث العلمية وتعمل على ترقية الآداب والعلوم في البلاد .

□ تساءل الدكتور أحمد أمين بك في إحدى جلسات المجمع اللغوى عن الفائدة العملية لكتابة الهمزة والألف اللينة أشكالا وألوانا كالبهلوان .

الحياة بجامعة فاروق بالإسكندرية فى عيد الميلاد الملكى . وألقى معالى وزير المعارف كلمة اللجنة الدائمة للجوائز ، فأعلن فيها ماوصلت إليه لجان الفحص لسنة ١٩٤٩ ، وقد رأت هذه اللجان أن الكتب والبحوث التى فحصتها لم تستوف بعض الشكليات والشروط لاستحقاق الجوائز .

وكانت لجان الفحص قد غربلت ما قدم لها ، ثم صفت ما غربلته ، فكانت الصفوة : كتاب « أسس الصحية النفسية » للدكتور عبد العزيز القوصى عميد معهد التربية العالى ، وكتاب « ساڤونارولا » للدكتور حسن عثمان الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة فاروق ، وكتاب « السودان فى قرن » للأستاذ مكى شبيكة ، وبحث فى الجيولوجيا غير مطبوع للدكتور رياض عبد المجيد حجازى . فأوصت لجان الفحص بإيفاد حضراتهم إلى الخارج على نفقة الدولة تمكيناً لهم من وسائل البحث والدراسة بالاتصال بالمعاهد العلمية والهيئات العالمية . وكان الدكتور القوصى والدكتور حسن عثمان موجودين فى الحفلة ، فصافحهما مندوب جلالة الملك . أما الأستاذ مكى شبيكة والدكتور حجازى فهما فى الخارج ، الأول مبعوث من كلية غوردون السودانية إلى إنجلترا والثانى فى بعثة من وزارة المعارف إلى أمريكا وقد مدت له اللجنة مدة البعثة .

وقد نوه معالى وزير المعارف بأسماء المختارين الأربعة ، وأشاد بجهودهم العلمية ، وأشار إلى أن الغاية من تنظيم هذه الجوائز التى يتفضل بها جلالة الفاروق ، هى رفع مستوى الإنتاج العلمى ، فإذا رأت اللجنة الدائمة عدم استحقاق الجوائز فإنها تلجأ إلى وسائل أخرى تؤدى إلى تلك الغاية ، مثل إيفاد العلماء إلى الخارج لأنه يسهل لهم سبل البحث واستكمال الدراسة .

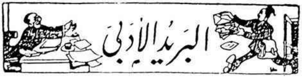
ولاشك أن هؤلاء الأربعة المختارين — وإن كانت مؤلفاتهم لم تنل الجائزة المادية — قد نالوا ما هم أهله من حسن التقدير والتكريم ، وخاصة الدكتور عبد العزيز القوصى ، فهو من مفاخر مصر فى علم النفس ، وله مكان ملحوظ فى المجامع العلمية بالخارج .

بناة النهضة :

نظم قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية سلسلة من المحاضرات العامة موضوعها « بناة النهضة المصرية فى القرن العشرين » شملت أنواعاً مختلفة من النهضات ، من سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها ، وكان آخر حلقة فى هذه السلسلة محاضرة للدكتور محمد صلاح الدين بك عن بناة النهضة فى المسرح والموسيقى ، فتحدث عن الموسيقى من عهد محمد عثمان وسلامه حجازى إلى عبد الوهاب وأم كلثوم ، وتحدث عن المسرح من سلامة حجازى أيضاً إلى زكى طليمات ، وقد بين أهمية من تحدث عنهم فى الفن وأثره فى تطوره ، فسلامه حجازى زاوج بين المسرح والغناء ، وجورج أبيض استطاع أن يجعل للتمثيل قيمة مستقلة عن الغناء ، ومحمد تيمور وزملاؤه من هواة المسرح المثقفين كانوا طبقة ذات أثر كبير فى ارتقاء المسرح ، ومن هؤلاء زكى طليمات الذى لا يقتصر على الجهد الفردى فهو يصنع الآن جيلا جديداً يرجى على يديه عهد جديد للتمثيل فى مصر ، وكذلك فعل فى الموسيقى ، وقد وقف طويلا مع سيد درويش ، وقال إنه استطاع أن يجعل الفن ذا موضوع ، ومن عبقريته أنه ذهب فى التجديد إلى مدى بعيد مع الاحتفاظ بالأصول الشرقية للنغم والموسيقى .

هذا وقد نشر فى الصحف عنوان هذه المحاضرة هكذا « بناة النهضة الأدبية » واحتشد جمهور كبير فى قاعة يورت التذكارية ، وقدم رئيس قسم الخدمة العامة ، المحاضرة بكلمة قال فيها إن المقصود بالنهضة الأدبية نهضة المسرح والموسيقى لما لهما من شديد الصلة بالأدب . وقد ألم هذا الوضع وهذا الجو إلى تقصير فى هذه السلسلة ، إذ أهمل فيها الجانب الأدبى إهمالا تاماً ، ولم يذكر رئيس الخدمة العامة سبباً مبرراً لهذا الإهمال . قد يقال إن الجامعة حرة فيما تختار من الموضوعات ، ولكنها محاضرات عامة تدعو إلى إلقائها بعض قادة الرأى والفكر فى مصر ، ومن تمام الفائدة أن تستوعب الجوانب المختلفة ، ولم يكن ينبغى أن يهمل الحديث عن النهضة الأدبية وهى أم النهضات جميعاً ، حتى أنك لا تجد نهضة إلا كان الأدب لسانها والأدباء باعثيها وداعين إليها .

عباس خضر



نصيب العلم :

كان من صدى الإعلان فى « الرسالة » عن كتاب عالم الذرة ثلاث رسائل لا أكثر من بعض القراء . وصاحب إحداها يفرض عليّ جزاء لقراءته مقالاتى فى الرسالة أن أقدم إليه كتابى مع الشكر ، وأنا أقول له :

أنت غال وقد طلبت رخيصاً ... ينفع العلم إن تنله قنيصاً

وصاحب الرسالة الثانية يطلب الكتاب هدية لا قيمة لها جزاء تدلله فى حبى . وقد حبر بهذا الكتاب أربع صفحات . وأنا أظنه من حسناء ، حتى كدت أعتقد أنى أخو أفروديت أو ابن فينس ؛ أو أنى كيوبيد بعينه على الرغم من أنى « بلغت من الكبر عتياً » والسنون « قد أحوجت سمعى إلى ترجمان » وما انتهيت من تلاوة الرسالة حتى رأيت نفسى أمام مرآة .

وصاحب الرسالة الثالثة قصم رقبة ظنى بأن استشفع بعيد ميلاد فاروقنا المعظم لأنه كتبها فى يوم العيد السعيد . وإنى أرجو من حضرات القراء الكرام أن يعلموا أنى أغلقت باب الشفاعات لكيلا يستشفعوا بسمى الكريم وبالمسيح الرحيم . وخير لهم أن يتشفعوا بالقروش العشرين إن كانوا يرون أن كتابى يساوى هذا الثمن السقيم ، والحمد لله رب العالمين .

نقولا الحداد

٢ ش البورصة الجديدة بالقاهرة

لا وجود إلا وجود واحد :

لا شك أن آفة الشرق هى الغرب ، وأن داء الشرقيين المستفحل هو إيمانهم بأن كل ما أتى به الفكر الغربى من مذاهب هو المثل الأعلى الذى ينبغى أن يحتذيه كل فكر ينشد الكمال . ونحن العرب نتخذ دائماً من المعايير الغربية مقاييس أفكارنا . فإن خالفتها فهى مبهمة غامضة ، وإن سارت على منوالها فهى واضحة جلية ، ولا نفكر مطلقاً فى أن نعتز بنتاج الشرقيين بل ننظر إليه من خلال المذاهب الغربية التى تحول دون فهمه فهماً صادقاً ، وتفسد أحكامنا عليه .

وها هو الأستاذ نقولا الحداد لم يستطع أن يفهم مضمون حقيقة وحدة الوجود عند طاغور ؛ لأن ذهنه مشبع بمذاهب الغربيين فى هذه الحقيقة . ولا يدرى كيف يحدد موقف طاغور بالنسبة للذين يقولون بأن أصل الوجود جوهر واحد سواء أكان روحياً أو مادياً ، أو بالنسبة للذين ينادون بثنائية الوجود أو يعتقدون بجوهرين هما الروح والمادة ، لأنه تعود أن ينسب كل رأى إلى فكرة غربية مماثلة لها ، ويقارنها بها ؛ فإن لم يجد لها نظيرا صعب فهمها عليه . ولذلك يجب علينا جميعاً أن نتعود فهم الأفكار الشرقية وعقولنا خالية من النظريات الغربية ، فإنها تشتت أذهاننا وتبلبلها فتأسرها فى مكان ضيق لا تقدر أن تدرك ما خارجه ، وإن حاولت عجزت عن فهمه .

وكما هال الأستاذ الحداد أن يكون منبت حقيقة وحدة الوجود هو الشرق ، ولم يكن أول قائل لها هو اسبينوزا ، فأخذ يستوضح عن صلتها بالدين الهندوكى وتغافل عن أن أفلوطين قد تأثر بأفكار الهنود فى وحدة الوجود الروحية ، وأنى من قبل اسبينوزا بمذهب فيها ، قد تأثر به اسبينوزا نفسه كما تأثر ببعض المتصوفين الإسلاميين الذين تكاد كل نظرياتهم فى التصوف مستمدة من صلب التعاليم الهندوكية .

أما كيف عرف الهنود تلك الوحدة فيرجع ذلك إلى عهد يمعن فى القدم إلى أكثر من خمسة وعشرين قرناً ، يوم كانوا يؤمنون بآلهة كثيرة تمثل مختلف قوى الطبيعة وشتى مظاهر الكون . ويوضح « الفيدا » وهو كتاب هندى مقدس لا يعرف واضعه أو واضعوه — ماهية كل إله ويذكر الأدعية التى ترفع له ، ويبين القرابين التى تبذل من أجله ولا يشير كتاب الفيدا إطلاقاً إلى حقيقة وحدة الوجود التى جاء بها « اليوبانيشاد » من بعده وهو كتاب هندى دينى آخر مجهول مؤلفه أو مؤلفوه . يضع فلسفة الهنود الهندوكية فى وحدة الوجود ، ويضم كافة الآلهة الهندية فى إله واحد يشملها جميعاً ويحل فيها ، وهو براهما الذى يستمدون وجودهم من وجوده ، ولا يعبدهم الهنود إلا لأنهم آلهة يتجلى منها الإله الأكبر « براهما » الذى يكمن فى كل شىء فى الكون . وإن مظاهر عبادة الحيوان وتحريم قتله ، وتقديس الأشجار ومنع قطعها ، والتبرك بمياه الأنهار ، يبين لنا كيف يعبد الهنود الظاهرات الطبيعية التى يستقر فيها براهما .

وتناول طاغور هذه الحقيقة بتفكيره الشاعرى وعرضها بخيال الفنان الملهم فى أسلوب روحى يفيض عذوبة وحلاوة .

فإن اعترى أفكاره عند تأملها عقلياً بعض الإبهام ، فلا يجب أن نلومه لأنه شاعر قبل أن يكون فيلسوفاً ، وما أراد لنفسه أن يكون فى يوم من الأيام فيلسوفاً ، وإن ارتضى أن يكون شاعراً حكيماً . فهو ليس صاحب مذهب محكم التصميم يستند فى تفسيره على منهج عقلى منظم . ولم يخط كتاباً فلسفية قط .

وإن حاولت أن أستخرج من كتابه « Sādhana » أصول فلسفة أعالج فيها المشاكل الميتافزيقية والأخلاقية والفنية التى اشتغل بها طاغور بطريقة لا تمت لطرق الفلسفة بصلة ، فإنما ذلك رغبة منى فى أن أعرض أفكار حكيم فى أسلوب فلسفى لا غير .

لقد زعم طاغور أنه لا يوجد إلا حقيقة واحدة لا تحتمل التفرقة بين خالق ومخلوق ، وجودها روحى ، وأن ما يبدو فى الكون من مادة فهى مظهر خادع يخفى براهما المستقر داخلها ؛ لأن براهما حين امتلأ بالسرور — ذلك السرور الذى لم يبين لنا طاغور كنهه ، أو يذكر سبب نموه فى براهما حتى امتلأ به — فصدرت عنه الخليقة لم يفصل بينه وبينها فصلا تاماً ، وإنما كن فيها وأعطى للانسان فرصة للعودة إلى منبعه الذى انبثق منه ، بمنحه حرية التصرف فى شئون دنياه ، وتقييده بقانونه الأخلاقى ومن يقطع الصلة بين براهما والمخلوقات يقع فى «المايا» أى الباطل الذى يخيل إليه أن الباطل مستقل عن المخلوقات بينما براهما يتجلى فى الكون فى صور القوانين التى يتقيد بها هذه المخلوقات فتخضع روح الإنسان للقوانين الأخلاقية ، ويخضع جسده وجميع محتويات الطبيعة الأخرى للقوانين الكونية . ومعرفة هذه القوانين معرفة لله المتحد بكل شىء . إلا أنه لا يكفى للانسان أن يعرف هذه الوحدة ليصل إلى الكمال الروحى ، وإنما يجب عليه أن يعرفها ويحياها معاً ويحس ببراهما الذى يوجد فى كل جزء من أجزاء الكون إحساساً حياً ، تنطق نه كل حركاته من أفعال وأقوال ويدمج شعوره بفرديته فيها جميعاً بحيث لا يستطيع أن يميز بين وجوده وبين سائر الموجودات .

وإذا أراد الأستاذ نقولا أن يعرف المزيد وكيف يفوز الإنسان بهذه الحياة فإنى أرجعه إلى ما سبق أن نشرته فى مجلة الرسالة عن طاغور وما سأنشره قريباً إن شاء الله عن فلسفة طاغور الأخلاقية والفنية .

عبد العزيز محمد الزكي



في ميـــــدان الجهاد

للأستاذ وهبي إسماعيل حقي

إلى المجاهد الكبير - من اجتمع إلى حكمة الشيوخ عزمات الشباب ، صاحب الدولة « أحمد باشا حلمي » وفقه الله في مهمته ...

كان الوقت ليلا ، وكانت السماء صافية الأديم ، وكان القمر يرسل أضواءه الفضية الساطعة ، فتملأ الأرجاء أمنا ، وتغمرها نوراً ، ولولا أن الجو تتمشى في جنباته موجات من برد فبراير القارس لتبدلت الحال ، ولخرج الناس من مكامنهم ليستمتعوا بهذه الطبيعة الأخاذة ، ويستنشقوا عبير النسيم الذي انبعث من البحر الأبيض يحمل النشاط والقوة ، ولما لجأت « كتيبة الإيمان » — إلى ذلك الكهف الذي اتخذته مقر لقيادتها ، في إحدى جبال فلسطين الكثيرة ، والتف أفرادها حول النار ليصطلوا .

وكانت هذه الكتيبة واحدة من الكتائب التي ألفت جيش الإنقاذ الذي خف إلى فلسطين حينما وضح اليهود عن المالاة في مطامعهم بإثارة الغارات — من آن لآخر — على القرى العربية الآمنة ، ومثلوا معهم تلك الأدوار التي حدثنا عنها التاريخ في عصور الجاهلية الأولى ، من هتك الأعراض ، وسلب الأموال وقتل الضعفاء من الشيوخ والأطفال .

واتخذت كهفاً واسعاً مركزاً لها ، فيه توضع خططها الحربية ، وفيه تحفظ المؤونة ، ومنه تشن الغارات ضد الصهيونيين العتاة .

كان ضوء القمر على باب الكهف يعاون أشعة النار في تبديد الظلمة ، فيستطيع الإنسان أن يميز وجوه الحاضرين ، فيرى فيهم الأبيض والأسمر ، والأسود والأشقر ، ويرى فيهم الطويل والقصير .

فهؤلاء الأربعة البيض الذين اتخذوا مجلسهم قريباً من الموقد ، تنبئ ملامحهم أنهم أوربيون : فأما العملاقان — اللذان تشع من عيونهما أشعة القوة والجد ، وينبعث منها بريق الأمل — فهما من إحدى المدن الألبانية التي تفتدي أهلها بلبان الحرية ، ومن أجلها حاربا الطليان والألمان ، ثم حاربا الشيوعية ، وأخيراً تركا الوطن إلى إيطاليا فراراً بعقيدتهما .

وأما هـذا القميء المريض المنكبين الذي اتسمت آيات الحزن على صفحة وجهه ، ولاح الامتعاض وحب الانتقام في أساريره ، فإنه من تلك القرية البوسنوية المسلمة التي أغار عليها ذلك الوحش الآدمي المجرم « ميخائلوفيك » فحرق رجالها وهم يؤدون صلاة العيد في أحد مساجدهم ، وأجبر نساءها أن يرقصن على الثلج عاريات ، بعد أن سلبهن الشرف والعرض ، ثم أعدمهن رميا بالرصاص . وكان من حظ رفيقنا هذا أن تأخر عن شهود الصلاة فنجا من الموت ، وفر إلى اليونان ومنها إلى إيطاليا .

أما هذا الذي يشبه الصيني إلى حد بعيد فهو من تتار بولونيا غادر بلاده بعد الزحف الروسي ليحارب الظلم والاستبداد فوصل إلى جبال ألبانيا وحارب مع عصاباتها جيوش المحور .

وجمعت المقادير بين الأربعة في أحد معسكرات إيطاليا ، واستمعوا إلى تلك الفظائع التي يرتكبها اليهود مع عرب فلسطين فهبوا للدفاع عن الحقوق المهضومة ورد العدوان الصارخ .

أما الباقون من أفراد الكتيبة فيستطيع من يرام أن يعرفهم بسيماهم ولكنتهم العربية ، فمنهم المصري والسوداني ، ومنهم السوري والعراقي والمغربي واللبناني ومنهم غير هؤلاء كثيرون .

اجتمعوا حول النار في الكهف يتشاورون ويتباحثون في الأعمال التي يجب أن يتبدئوا بها في غدهم .

وقال قائدهم الأكبر ، وهو فلسطيني أتم علومه في ألمانيا ، ودرس الفنون الحربية في معاهدها ، ونبغ في الهجوم الخاطف : في الصباح الباكر سنهجم على مواقع العدو القريبة منا في ناحية الشمال .

واستقر الرأي أن يبدأ الهجوم من الساعة الخامسة قبل أن تبزغ الشمس ، ويملأ نورها الجو ، وصدرت الأوامر للجميع

أن ينظفوا أسلحتهم ، وأن يتموا استعدادهم ... وتفرقوا إلى مضاجعهم في زوايا الكهف ، وفي الساعة الرابعة جلجلت أصوات المؤذنين في الفضاء : « الصلاة خير من النوم » فهرع الكل إلى الينبوع الذي لا يبعد كثيراً عن الكهف وأسبغوا الوضوء لصلاة الفجر ، وأمهم قائدهم . ولما قضيت الصلاة ، توجهوا إلى الله مخلصين أن يهيء لهم النجاح في مسعاهم ، وأن يكتب لهم النصر على أعدائهم .

ورجعوا إلى مقرهم فلبسوا أسلحتهم وحملوا أمتعتهم وخرجوا إلى باب الكهف يقطعون المسافة أمامه ذهوبا وجيئة وهم ينتظرون الأمر بالانقضاض ، وكل منهم يهمس لأخيه : متى سنذهب ؟ لقد تأخرنا اليوم ! .

ثم دوى في الفضاء صوت جهوري تردد صداه في جنبات الوادي : استعدوا .

نخشعت الأصوات ، وشمل الحاضرين سكون رهيب ، وتراص الجميع في صفوف منتظمة ، ووقف على رأس كل صف ضابط ينادي الجنود بأسمائهم .

ثم برز القائد الأعلى وخطب فيهم يستنهض الهمم ويستحث العزائم فقال : لست أراني في حاجة لأن أذكركم بما يجب على الجندي في الميدان من الاستبسال في القتال ، والحرص على الفوز . لا أملك إلا أن أقول : علينا أن نصل إلى النصر بأي ثمن

فرد الجند من أعماق قلوبهم : إننا — بعون الله تعالى وحسن قيادتك — منتصرون . « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » .

وزحف الجند في حذر ، وكانت النجوم لا تزال تؤدي رسالتها في كبد السماء ، ترشد الضال ، وتنير الطريق . وكان البرد قد بلغ النهاية في الشدة ، ولكن الكتيبة ما كانت تقيم له في حسابها وزنا كأن حرارة الإيمان بددت من حولها برودة الطقس

وكان على الجند الزاحف أن يقطع مسافة غير قصيرة ليصل إلى خنادق العدو التي توفرت له فيها أسباب الراحة وألوان المتع ، وكميات من الزاد والذخيرة لا تحد ... ففيها الفرش الوثير ، والطعام الكثير ، والعتاد الوفير ، الذي انثال على اليهود من كبريات دول الغرب .

وحين أصبحوا غير بعيد من مراكز العدو استمعوا إلى القائد يصيح فيهم : تأهبوا للهجوم . فانقسموا إلى أربع فرق ، كل فرقة لا تعدو العشرين ، وإن هي إلا لحظات حتى كانوا مرهفي الحس لتلقي أمر القائد .

ووصلوا إلى المنطقة التي تجب فيها الحيطة ويلزم الحذر ، حيث الألغام المبثوثة ، والأسلاك الشائكة والقنابل المنثورة . ولم يمض إلا قليل حتى دوت أصوات الطلقات في الفضاء ، فعلموا أن الحراس قد أحسوا بهم ، وأنهم يستعدون لتمائهم .

وانبطح أفراد الكتيبة على الأرض ، وابتدأت المعركة ، وكانت رعدة من البرد قد سرت في أجسادهم حين افترشوا الأرض ، لكنها لم تلبث أن تبددت عندما حمى الوطيس .

ثم تعالت صيحات الفزع من خنادق الصهيونين ، وارتفعت أصوات السب واللعن لمن حرمهم لذة التمتع بالنوم في ذلك الوقت الباكر .

وأخذ أفراد الفرق يتقدمون رويداً رويداً زحفاً على البطون ووابل الرصاص يمرق من فوق رءوسهم فلما كانوا على خمسين متراً من مقر الأعداء ، تزايدت الطلقات ، فلم يعقهم ذلك عن التقدم في العراء .

وقد أطلقوا المثان لأسلحتهم تقذف بنيرانها إلى الخنادق التي لم تتأثر بها كثيراً ، فكانت تصدم بالجدر المتينة ثم تعود من حيث أتت حسيرة ، لأنها لم تبلغ الغاية ، ولم تقم بالمهمة .

ونادى القائد نداءه الصارم : أيها الجنود البواسل ! الكلمة الآن للقنابل ... ليهجم الصف الأول على الخنادق الكامنة إلى اليمين . وأما الثاني والثالث فليقوما بالهجوم على الخنادق في الشمال . وليقف الرابع بالمرصاد ، ليتقدم إلى من هم في حاجة إلى مساعدته .

وبدأت الشمس تنشر أشعتها في صفحة الكون ، فتبعث الدفء وتخفف حدة البرد ، وتجلي الموقف على حقيقته ، فهاتان قوتان تمتركان : أما أولاهما فهي قوة الظلم والعدوان ، ووحوش في زي الإنسان وجائرون في لبوس ذوي الحق المضاع والجناح المهيض . وهم من أجل ذلك يرتمشون فرقاً ، ويرتعدون خوفاً كلما التقوا مع المجاهدين في ميدان ؛ لأنهم لا يعرفون الحكمة ولا الداعي لحاربتهم لهؤلاء الوادعين الذين أمنوا في أوطانهم ، واطمأنوا في ديارهم .

أما القوة الثانية فهي قوة الحق تتمثل في هذه الحفنة من الأبطال الذين خرجوا من ديارهم وأبنائهم ، واستلوا سيوف

العدالة ليبطشوا بالذين استباحوا الحرمات، واعتدوا على الحريات، وعاثوا فى الأرض فساداً ... إنهم حين يندفعون إلى الأوكار اليهودية، قد وقر فى نفوسهم، وارتسم فى أذهانهم تلك الفظائع التى ارتكبها هؤلاء الأشرار من سفك الدماء، وتقتيل الأبرياء، وهتك الأعراض، وتشتيت الأسر، وبقربطون الحبالى، فتلتهب عزائمهم وتمتلىء نفوسهم بالشجاعة والقوة، ويشعرون بالارتياح فيتقدموا إلى العدو وهم أشد تعطشاً لسفح دمه ثأراً لإخوانهم.

واستطاع جند الكتيبة أن ينفذوا إلى الخنادق، وفى داخلها نشبت المعركة، واشتد القتال. فلم يثبت لليهود قدم، ووجلت قلوبهم، وارتخت أعضاؤهم، ولم يكن لهم هم سوى البحث عن الوسيلة للفرار.

ووقف بعض الجند من كتيبة الإيمان يقتلون من زينت له نفسه الهرب على باب الخندق، وهم يصيحون من الفرح: أين موسى شرتوك الذى سول له شيطانه أن يفخر برجاله فى العالم أجمع؟ أهؤلاء هم الرجال الذين هددوا باحتلال الأراضى المقدسة حتى الحدود المصرية؟. أهؤلاء هم الذين نشروا الخوف وأشاعوا الرعب فى ربوع فلسطين الآمنة؟. هاهى حصونهم لم تحمهم منا؟ وها هى أشلاؤهم قد تناثرت حولها؟ وها هى أسلحتهم واستعداداتهم لم تحل بيننا وبينهم. إنهم باغون وعلى الباغى تدور الدوائر.

واحتلت الكتيبة خنادق اليهود. وتولتهم الدهشة من عجيب ما رأوا فيها، فهى مزودة بكل طريف من الكماليات فضلا عن الضروريات: فهذه وسائل التدفئة الحديثة، وتلك آلات الكهرباء، وهذا رياش فاخر، وذاك معين من المؤونة لا ينضب، إلى غير ذلك مما لا يدع للشك مجالا فى أنهم كانوا يعتقدون أنهم فى هذه الأماكن مخلدون.

وتراءى لأفراد الكتيبة عظم الفرق بين القوتين وبين الاستعدادين، كعظم الفرق بين السماء والأرض ... وانخلعت قلوبهم من الحيرة لهزيمة هؤلاء الصهيونيين مع هذا العدد الوفير، وهذه العدة البالغة، وأيقنوا أن النصر للقوة المعنوية دائماً، وللقوة المادية نادراً.

وألقى الجنود نظرات خاطفة على عتاد الأعداء ليحملوا ما هم فى حاجة إليه من متاع وسلاح، ثم التفوا حول قائدهم ليصغوا إليه وهو يأمرهم بملاحقة الأعداء ومواصلة الهجوم حتى يجتنوا ثمار النصر ناضجة، فانبسطت الأسارير، وارتسمت على الشفاه بسمات الفرح بذلك النصر المبين. وتزايد سرورهم حين عرفوا أن عددهم لا ينقصه إلا ثلاثة قد لقوا حتفهم برصاصات صهيونية غادرة.

وتعانق الجميع عناقاً مريماً حاراً، تعبيراً عن ابتهاجهم بهذا الفوز الحاسم، ثم انصاعوا لأمر القائد الذى ناداهم: إلى الأمام أيها الأصدقاء؛ فعلينا أن نحتل جميع المراكز القريبة ليتم تطهير المنطقة كلها.

واستبسل اليهود فى الدفاع عن مراكزهم، ونشطت مدافعهم الثقيلة والخفيفة، وأطلت فوهاتها من فتحات الخنادق لتقذف الحمم، وتجاوبت الطلقات، وتلوت فى أجواز الفضاء مسرعة متوالية كأنها حيات تسعى، وكانت تزأر زئيراً مفزعاً، وتدوى دوياً مزعجاً، لو سمعه من لم يتعوده لطاش عقله، وفقد السيطرة على أعصابه.

ولكن أفراد الكتيبة كانت قلوبها تخفق خفقات الشجاعة كلما سمعت قصف المدافع، ورعد القنابل وعصف البنادق، ولم يفت فى عضدها تلك الانفجارات من حولها ولا ذلك الدوى الذى يصم الآذان.

وأحس الجنود أن ما معهم من العتاد أوشك أن ينفد، ومع ذلك لم ينكص واحد منهم عن التقدم. ولكن اقتصدوا كثيراً فى إطلاق الرصاص، وكانوا يسددون إلى الهدف دائماً. وفرغت القنابل ولم يبق لدى الكتيبة سوى عدد لا يفى بالغرض من الطلقات.

وأحس العدو ذلك من فتورهم فى الهجوم، فقويت روحه، واجترأ على الخروج من مكمنه، وواجه أفراد الكتيبة بالعدد والعدة، وتحولت المنطقة إلى قطعة من الجحيم؛ فالتهبت البقاع، واشتد القتال ... ثم نفدت ذخيرة الكتيبة، وخمدت مدافعها، وسكتت بنادقها، ولكن أحداً من رجالها لم يتزحزح عن موقفه لأنهم يعلمون أن لهم إحدى الحسنيين، النصر المؤزر أو الفوز بالجنة.

ونادى القائد محمد: إلى الأمام أيها الأبطال ... لا ترهبوا الموت ... إلى المعر فهناك النصر ... لكنه لم يتم كلمته فقد نفذت إلى قلبه رصاصة آثمة ألقته على الأرض، وحاول أن يقف على رجليه فلم يستطع ... أراد أن يستمهل الموت حتى يؤدى واجبه كاملا لكن الموت لم يمهله ... تقدم خطوتين إلى الأمام زحفاً ولم يقو على الاستمرار، فعلم أنها آخر لحظاته، فرمق الجميع بنظرة

عطف وحنان ، وسمعه أقرب الجنـد إلى مكانه يهمس بكلمات متقطعة وهى منها : « إلى الأمام .. يا أصدقائى خذوا بثأرى . لا تهدروا دمى ... تحيا .. » ثم فاضت روحه إلى بارئها تشكو تعسف الصهيونيين ، وتستنجز وعيده فيهم « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله » ... وأتم الجندى كلمته « تحيا فلسطين » .

ثم تقدم أصدقاؤه لينفذوا خطته ، وهم يعلمون أنه إنما أراد أن يقذف الرعب فى قلوب الأعداء بهذا التقدم ، فيفسد عليهم خططهم ، وإن أعقب ذلك موت كثير من رجاله ، فالحرب تضحية .

ثم سمع الجنـد صوت القائد الجديد يأمرهم أن يثبتوا فى أماكنهم ، وأن يفكروا فى الانسحاب حتى لا يفجعوا الوطن فى حياتهم ؛ فإن الذخيرة قد نفدت ، وإن القائد قد قتل ، وإن التقدم مع كل هذا معناه موت الباقين . وكان مما قاله لهم : قفوا إلى أن تصدر إليكم أوامر أخرى .

واشتدت ضربات اليهود ، وأقاموا ستاراً كثيفاً بمدافعهم الرشاشة لا يتسنى لإنسان معه أن يرفع رأسه إلى أعلى إلا إذا كان فى غنى عن حياته .

وطلب القائد إلى الجنـد أن ينبطحوا على الأرض ، وأن يزحفوا على بطونهم إلى أن يخرجوا من ميدان القتال ويبعدوا عن مرمى قذائفهم .

وكانت جثة قائدهم محمد على عشرة أمتار منهم ، تسبح فى بحر من دمائه الزكية ، والتبس الأمر عليهم أيتركون هذا الجدث الطاهر فى تلك العصابة الآثمة يمثلون به ؟ أم يعودون إليـه ليحملوه معهم وإن سبب لهم هذا العمل المتاعب والصعاب .

ولم يطل بهم التردد ؛ فقد وقف « سعيد » — وهو جندى من جنود الكتيبة غير المبرزين — وأسرع إلى حيث جثم قائده وحاول زملاؤه أن يحولوا بينه وبين ما أراد فلم تجد محاولتهم ... وانحنى سعيد على جثة القائد وحمله بين يديه وهم به أن يرفعه إلى أعلى ، وما هو إلا أن برز صدره حتى ندت عنه صيحة مدوية أعقبتها أنات موجعة ؛ وسقطت الجثة أمامه ؛ فقد سدد إليه الأعداء رصاص بنادقهم فأصابه منها رشاش ، خارت له قواه ، واصطكت أسنانه ، ولكنه ملك زمام شجاعته ، واستجمع قوته وحمل الجثة ثانية ، وأسرع بها إلى قومه وهو يجر رجليه فى مشقة بالغة وحين وصل إلى رفاقه سقط أمامهم مغشياً عليه ، تتفجر الدماء غزيرة من جوانبه تخط على رمال الصحراء صفحة المجد الخالد والبطولة النادرة ... وارتسمت على شفتى سعيد بسمة الرضا بما صنع ؛ فقد حال بين جثة قائده وزميله وبين الأعداء أن تبعاش بها . وتم انسحاب الكتيبة إلى مكان أمين ، وقد حملوا معهم سعيداً الجريح ، ومحمداً القتيل . ثم التفوا حول سعيد يضمدون جراحه ، وكلهم أسف لما حل به . فلما أفاق توالت عليه الأسئلة ، عن حاله ، وبماذا يحس ، وأجابهم بصوت خافت : إنى بخير والحمد لله ... ليست حياتى فى خطر ... وليس بى سوى الحزن على محمد القائد البطل ... لقد كتب المسكين إلى أمه أمس ، وأنا الذى أودعت البريد رسالته التى يقول فيها إننى فى صحة جيدة .. وإننى سعيد فى حربى لهؤلاء الجبناء الأنذال ، وأجد اللذة فى الانتصار المتوالى عليهم ... ثم ختم الرسالة بقوله : إنك يا أماه ستفخرين كل الفخر عندما أعود إليك مرفوع الرأس عقب الانتصار النهائى على « بن صهيون » وأقص عليك تفاصيل المعارك التى خضناها ، وسيرة الأبطال الذين اشتركوا معى فى هذا الجهاد المقدس » . ثم سالت من عينى سعيد قطرات من الدموع مسحها براحتيه ، والتفت إلى زملائه الذين أحسوا مثل إحساسه وهو يقول : والآن علينا أن ننتقم لمحمد . أليس كذلك أيها الأصدقاء ؟ فأجابه الجميع فى صوت واحد : نعم ياسعيد! سننتقم له أشد الانتقام!

قال من نقل إلى هـذا الحديث — وهو ممن خاض جميع المعارك مع هذه الكتيبة ، قبل أن تزحف الجيوش العربية النظامية إلى فلسطين ، وكان ضابطاً فى الجيش برتبة الملازم الأول ، فترك وظيفته وتطوع فى جيش الإنقاذ — استرحنا يومين كاملين ، تم فيهما استعدادنا ، وعادت إلينا حيويتنا ، ثم قمنا بهجوم خاطف عنيف على مراكز العدو فى تلك البقعة ، واشترك معنا سعيد ، وأبلى فيه بلاء حسناً ، واستشهد وهو ينزل العلم الصهيونى ليرفع مكانه العلم العربى فوق برج المستعمرة .

واحتفلنا بجنازته احتفالا رهيبا ، ودفناه بجوار « محمد القائد البطل » ووضعنا بجوار قبريهما حجراً كبيراً خططنا عليه تاريخ استشهادهما فى الهجومين المتوالين ، ليذكر الذين يزورون الأراضى المقدسة تلك الأعمال الحربية العظيمة التى قامت بها الكتائب المتطوعة فى تنظيف فلسطين من الوباء الصهيونى .

والآمال كبيرة فى الجيوش النظامية ألا تدع صهيونياً واحداً يتنفس هواء تلك البقاع الطاهرة التى روتها دماء المجاهدين الأحرار

ثم انحدرت على وجه صديقى « صدقى » دمعة كبيرة وهو يستنزل الرحمة لزملائه الأبطال .

وهبي إسماعيل حقي
عضو البعثة الألبانية بالأزهر

مطبعة الرسالة